AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

892.71
I 1345m F

المنتخب النفيس

من شعر

ابى عبد الله بن خميس

عمل

عبد الوهاب بن منصور

الطبعة الاولى

عام 1365

77843

مطبعة ابن خلدون * تلمسان *

حقوق الطبع محفوظة

تقدیم

بسم الله الرحمان الرحيم

لم يبتل الله أمة من أمم العروبة والاسلام بشر مما ابتلى به أمة الجزائر العربية المسلمة، فقد رماها باستعمار لئيم الطبع، خبيث النفس هدم كيانها، وضعضع بنيانها، وأجاع منها البطون والقلوب، وأفقر العقول والجيوب، وأوصد فى أوجه أبنائها باب التربية والتعليم، وفتح باب الالحاد والفسوق والعقوق على مصراعيه.

وقد كانت عناية هذا الاستعمار — لا بالخير — متجهة إلى الشبان أكثر من سواهم، فما زال يخلط لهم السم بالدسم، ويشوب الشهد بالعلقم، ويلبس عليهم سبل الحق بترهات الباطل، حتى انطلت على أكثرهم حيله الماكرة، وألاعيبه المضللة، فأصبحوا شباناً مخنثين مؤنثين، لا شرقيين ولا غربيين، ولا يعدون — إذا عد شباب العروبة والاسلام — فى نبع ولا غرب، يدعون الاسلام، ولا يفقهون عظمة شريعته وعدالة أحكامه، وينتسبون للعروبة، ولكن على مضض، وبودهم أن لو كانت فى عيونهم الشهلة الانجليزية، وفى أبشارهم الشهبة السكندينافية، حتى يسهل عليهم الانتساب إلى تلك السلالات، وينتمون للجزائر ولا يعرفون من ماضيها المجيد إلا صوراً شوهاء بتراء، تلقوها فى مدارس استعمارية، كما شاءتها الاهواء

الاستعمارية لينشاوا عاقين لوطنهم ، مشيحين باوجههم عن قومهم ، منكرين عليه وعليهم كل حق فى السؤدد والمجد والحياة الحرة .

تلك هي بلية الجزائر، ورزيتها فى اكثرية شبابها ، أما أقليتهم فهي تلك العصبة المؤمنة الصادقة ، التى نفخ فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس ـ طيب الله ثراه ـ من روحه ، فحملت فى حياته وبعد مماته مشاعل السنة المحمدية ، والحضارة العربية ، بهذه الديار ، رغم ما كلفها ذلك من بالغ التضحيات وحملها من بليغ الاذايات

ولقد صح منى العزم على ان ادلي بدلوى بين دلاء أولئك العاملين ، وأقوم بنصيبى معهم فى ايضاح الماضى والتبشير بالمستقبل ، فرأيت أن أحسن ما أشارك به فى هذا القصد تاليف سلسلة من الكتب والدراسات ، أعرض بها على شباب الجزائر صوراً من ماضى بلاده ممثلة فى سير رجالها ، وألوانا من أدبها وفنها منتقاة من انتاج أشهر اعلامها ، وقد توفقت لحد الآن فى تاليف ثلاثة كتب من هذه السلسلة : (المنتخب النفيس من شعر ابن خميس) و (رسائل أبى جعفر ابن محشرة) و (المختار مما قاله السلطان ابو حمو من الاشعار) ، وفى النية أن نتبعها بدراسات أخرى عن بكر بن حماد ، والمرازقة والمقريين ، والقيسى ، والتلاليسى ، وابن عمار وابن علي ، وغيرهم من غرر ماضى الجزائر وحجوله .

يرجع اهتمامى بابن خميس الى سنة 1359 ، وهي السنة التى شرعت أكتب فيها (أنواء نيسان فى انباء تلمسان) ، فقد كان اسمه فى طليعة السجل الذى اثبتت فيه اسماء الشخصيات التلمسانية التى نويت ان اترجمها فى القسم الرابع من هذا الكتاب ، ثم ترجمته ترجمة مطولة ، وجمعت ماعثرت عليه من شعره القيم ، واودعت ذلك بطن الحبارة فى انتظار ترتيبه ونشره

وفي شهر شعبان من عام 1362. خلال سمر أدبي بدار والدي الروحي الاستاذ الامام الشيخ محمد البشير الابراهيمي جرى بيننا ذكر ابن خميس. فرأيته شديد الاهتمام بشخصيته العجيبه. فاخبرته بما تم لي في شانه. فحضني على الزيادة في البحث والتنقيب عن آثاره. واتفقنا على أن اوجه اليه نتيجة مجهودي ولما عدت للمغرب الاقصى قمت بمحاولات أخرى للكشف عن آثار ابن خميس فلم ألف اكثر مما أورده العبدري في رحلته. فخطرت لي حينئذ فكرة هذه الرسالة فتركت ما كتبت (أنواء نيسان) على حاله، وكتبت بحثي هذا وطبعته على الالة الكاتبة، وأخذت أتربص انتهاء الحرب وانقشاع سحبها لاقوم بطبعه.

ولما سافرت في شعبان الماضي الى الجزائر لحضور مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سلم الي الصديق الحميم الاستاذ عبد السلام مزيان المدرس بالمدرسة الثعالبية القصائد التي أوردها لسان الدين بن الخطيب لادينا في (الاحاطة) ومعها رسالة من نثره، ومع أن هذه الآثار مقطوعة غير موصولة كثيرة التحريف والتصحيف، فانها مفيدة جداً، والاستاذ مزيان يشكر على حسن هذا الصنيع أكبر عيب في هذا الكتاب كثرة التحريف فيه وليق علي الناقدون اذا وصلوا لهذه النقطة. فلو علموا ما عانيت في تحرير تلك الآثار التي مسخها النساخ ما انتقدوا، حتى أنني في بعض الاحيان كنت أقع بين أمرين: اما ترك المحرف على تحريفه أو التصرف فيه بما أريد فكنت أفضل الامر الاول محافظة على أمانة النقل.

وها أنا ذا أضع هذا البحث بين يدي الادباء والمتادبين، محيياً به مفخرة من مفاخر الوطن جار عليها الزمان، وأسدل عليها ستاره النسيان، وأهديه الى شبابنا الناهض، التواق الى المجد، الساعي لاحياء المآثر القومية.

عبد الوهاب بن منصور

تلمسان - رمضان 1365

ابن خميس

حياته

تـوطئـة

المغرب فى القرن السابع :

في الربع الاول من القرن السابع الهجرى ، كان المغرب الكبير (١) ميداناً لشتى الاحداث السياسية والانقلابات العسكرية التى بدلت أوضاعه ، وغيرت نظمه ، وأنشأته إنشاء جديداً في شكل لا يتفق في شيء مع شكله الرائع السابق فى القرن السادس ، وحتى فى مستهل القرن السابع نفسه ، فقد

(١) يطلق العرب كلمة المغرب على شبه الجزيرة الواقع فى القسم الغربي لشمال افريقيا ، المحدود شرقاً باقليم برقة ، وغرباً بالمحيط الاطلسي وشمالا البحر الابيض ، وجنوبا بالصحراء الكبرى ، ثم يقسمون المغرب بعد ذلك الى ثلاثة أقسام : مغرب أدنى (طرابلس و تونس) ومغرب أوسط (الجزائر وعمالة وحدة) ومغرب أقصى (المغرب الحالي تقريباً) وهذه الاقطار الثلاثة موحدة ديناً ولغة وأخلاقا كما هي موحدة جغرافيا وتاريخاً ومحناً ، وذلك من عمل الرحمان ، أما الحدود السياسية الجديدة ، والنعرة القومية الضيقة ، التى بدأت تظهر فيما أخيرا ، فهي نزغ من نزغات الشيطان ، وعقلاء الشبان الذين يرون الدول الغربية على ما بلغت اليه من كثرة في العدد واتحاد في الكلمة ورقي مدهش في الصنائع والعلوم تسعى الى التئازر بخلق كتل سلافية

كانت بوادر انهيار الدولة الموحدية (2) العظيمة أخذت تتجلى للعيان ، وبدأ الضعف والوهن يدبان إلى الادارة المركزية بعد أن انغمس الخلفاء ورجال هذه الادارة في الملذات والشهوات ، وعكفوا على اللهو وتناسوا الواجبات فعجزوا عن ضبط هذه المملكة الواسعة ، وأخفقوا في تثقيف أطرافها الشاسعة ، ولم

وكيل سكسونية ، وكتل لاتينية ، وكتل سكندينافية ـ هؤلاء العقلاء من شباب بلاد المغرب يعلمون حق العلم أن وطنهم لا تمكن أن يحيى الحياة المجيدة المرجوة له الا اذا توحد تحت سلطة واحدة ورايه واحدة واصبح كما كان على عهد الموحدين .

(2) دولة اسلامية عظيمة ، وضع أساسها الداعية الداهية محمد المهدي ابن تومرت ، وأقام أركانها أمير المومنين عبد المومن بن علي الكومي وأعلى منارها حفيده يعقوب المنصور وهي من أعظم الدول التي عرفتها البلاد ومن جليل أعمالها أنها وحدت الاقطار المغربية الثلاثة وأضافت اليها الاندلس وكان يخطب لملوكها على أكثر من ألفي منبر من حدود مصر الى المحيط الاطلسي وكان لملوكها قدم صدق في جهاد الاعداء وسد الثغور وحماية البلد ، وعناية فائقة بتكثير الاجناد وانشاء الاساطيل ونصرة الدين وتشجيع العلماء ، مما يقتضي الكلام عليه مجلدات وأسفارا وقد انقرضت دولتهم بوفاة آخر خلفائهم أبي العلاء ادريس ابن محمد سنة 668 ، وكانت مدتها من ظهور المهدي الى وفاة أبي العلاء 152 سنة

يطيقوا الصمود في وجه العدو المعاند الذي أخذ على نفسه موثقاً ليقذفن بهم إلى البحر وليعبدنهم من حيث جاءوا.

ومن البديهي أن أمبراطورية عظيمة كأمبراطورية الموحدين تمتد من صحراء ليبيا وجبال البرينى شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومجاهل الصحراء جنوباً، لا يستطيع ادارتها الا عبقري موهوب، ولا يضمن بقاءها ووحدتها الا جيش قوي حازم، وقد كانت العبقرية وكان الايمان على عهد المهدي.(3)

(3) العالم الجليل، والفقيه المطلع، والداعية الموفق أبوعبد الله بن عبد الرحمن السليماني الحسني الملقب بالمهدي والمعروف بابن تومرت ولد بهرغة بين سنتي 470 — 480، وكان في مبتدا امره رجلا فقيرا ورقيق الحال، مقبلا على طلب العلم، ثم رحل الى المشرق واخذ على ابي حامد الغزالي وتوسع في المعقولات والحديث ثم عاد الى المغرب متشبعا بروح ثورية خطيرة، متظاهرا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكثر أتباعه، وحدثت له منازعات ومجادلات مع امير بجاية، وقاضي تلمسان، وولاة فاس، وفقهاء المرابطين، ولما أحس بانه في خطر التجا الى جبال الاطلس، ودعا الامازيغ الى الثورة، فانضووا تحت علمه، وبويع يوم الجمعة 14 رمضان 515، وتوفي ليلة الاربعاء 13 رمضان 524، ودفن بتنمل، وهو في نظام حركته وبراعة دعوته وفهمه النفسية تابعية يعد في طليعة الدعاة القدماء والجدد

وعبد المومن (4) وفى أيام الخليفتين (5) من بعدهما، وبعد ذلك

الذين عرفهم التاريخ .

(4) أمير المومنين ، عبد المومن بن على الكومي التاجرى الندرومي ، رفعوا نسبة الى بر بن قيس بن عيلان ، ولد بتاجرا قرية من أعمال تلمسان ، وكان والده فخارا يعمل النوافخ ، ولا كنه كان شديد الرغبة فى العلم فادخل عبد المومن الى المكتب فحفظ القرءان ثم رحل الى تلمسان فلازم مساجدها يأخذ العلم عن علمائها ثم اتصل بالمهدى فاعجب به واصبح من أكبر اعوانه وأعظم مساعديه وبقي عضده الايمن الى أن مات المهدي فاكمل عبد المومن العمل الذي بدأه وأنشا الدولة الموحدية العظيمة وأصبح هو الخليفة الاعظم وتلقب بامير المومنين وأعمال عبد المومن الحربية والسياسية والاجتماعية أشهر من أن تعرف نذكر منها على سبيل المثال انشاؤه لنظام الفتوة المعروف بالكشافة قبل ان ينشئها اللورد بادن بول بثمانية قرون وكان عبد المومن عالما اديبا وشاعرا خطيبا وتوفي ليلة الخميس 10 جمادى الاخرى عام 558 .

5. الخليفتان العظيمان المجاهدان : أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن وابنه السلطان الشهير يعقوب المنصور بر الله ثراهما وسمى ايامهما بويع الاول سنة 58 وتوفي سنة 580 وبويع الثاني سنة 580 وتوفي سنة 595 .

غرق الناس فى الرفاهة والنعيم إلى الاذقان ، فضعف سلطان الايمان فى النفوس وخبت شعلة النبوغ والعبقرية . ولم يمض الا قليل حتى انفصمت العروة ، وتفككت الوحدة ، واستطال الامراء ، واشرأبت أعناق الولاة والرؤساء ، وتحفز العدو المتربص ، وكان من نتيجة ذلك أن استقل بنو حفص (6) بتونس

(6) الحفصيون من أشهر العائلات المالكة بتونس وأعظمها ، وأصلهم من المغرب لاقصى من قبيلة هنتانه المصمودية ، وربما انتسبوا الى امير المومنين عمر بن الخطاب ، جدهم الشيخ أبو حفص الهنتاني أحد أصحاب المهدى العشرة وقبيلته هنتانه هي القبيلة الكبرى التي نصرت المهدي وأيدت دعوته وقطع رجالها أكثر من غيرهم دابر المرابطين ، ولذلك كان خلفاء الموحدين يرعون لابي حفص وبنيه هذه السابقة فيسندون اليهم مهام الامور كالولاية على افريقيا ولما ضعف امر الموحدين بويع بالقيروان لابى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر بن ابي حفص المولود مراكش ثم جددت له البيعة بتونس في رابع وعشري رجب 625 وجاءت بعد ذلك البيعات من بعض مدن المغرب بين الاقصى والاوسط والاندلس ، وقد استمرت دولة بنى حفص مابين قوة وضعف الى أن انقرضت سنة 881 باستيلاء الاتراك العثمانيين على تونس ولبنى حفص مآثر جليلة في بناء المساجد والمدارس وتشجيع الحركة العلمية واكرام وفادة العلماء .

واستبد بنو عبد الواد (7) بالمغرب الاوسط ، ونسل بنو مرين (8) إلى المغرب الاقصى من كل حدب وبايع بنو نصر (9) بشطر من الاندلس الحفصيين ، وشايع بنو هود بشطر ءاخر منها بني

(7) بنو عبد الواد ـ ويعرفون ايضا ببني زيان ـ قبيلة زناتية تغلبت على مغرب الاوسط عند انحلال امر الموحدين وملوكها ينتمون الى القاسم ابن ادريس بن عبد الله الكامل او اخيه سليمان اقاموا دولة عظيمة نفقت فيها سوق الادب وزدهر العلم بكثرة رجالها وتشييد معاهدهما واستمرت هذه الدولة قائمة الى ان قضى عليها الباشا حسن بن الباشا خير الدين التركي سنة 1518م ومدتها منذ قيامها عام 1236 الى اضمحلالها 330 سنة (8) بنو مرين عائلة عظيمة من العائلات الزناتية خلفت الموحدين في ملك المغرب الاقصى ، وعظم امرها في عهد السلطان ابي الحسن حتى وحدت الاقطار المغربية الثلاثة ، ثم ضعف امرها فانتقل الملك من بني عبد الحق بن محيو المريني الى بني وطاس ، وهم فخذ من بني مرين ايضا واستمروا في الملك الى ان قتل السلطان السعدي مولاي محمد ابا حسن المريني اواخر سنة (961) . ولهذه الدولة ءاثار جليلة فخيمة لا تقل عن ءاثار الفردوس المفقود ، وكان لملوكها رحمهم الله اعتناء بـنـاء المدارس والمساجد والملاجى وتحبيس الاوقاف الطائلة عليها مما لا يسعنا الان تبيينه .

(9) ءاخر العائلات المالكة بالاندلس تنتسب الى الخزرج انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقرضوا عند ما احتل الملكان الكاثوليكيان فرديناندو

العباس ، ومحص العدو الكافر قبل ذلك جيش الخليفة بالعقاب(10) شر تمحيص .

تلمسان

وكانت تلمسان ، رابعة الحواضر المغربية التي اختارتها الاقدار الالهية لتلعب دوراً هاماً بعد انهيار دولة الموحدين ، أما الحواضر الثلاث الاخر فهي : فاس عاصمة المغرب الأقصى ، وتونس عاصمة المغرب الادنى ، وغرناطة ، عاصمة ما تبقى من المملكة الاسلامية بالاندلس ، ولم تكن تلمسان حديثة عهد بالرئاسة ولا بنت يومها في السؤدد والجاه ، فقد كانت قبل ذلك بقرون عاصمة للدولة السليمانية (11) وقاعدة للامارة

وايزابلا غرناطة في اوائل 897 .

(10) كانت هذه الوقعة سنة 609 ، انهزم فيها الخليفة الناصر لدين الله انهزاما ذريعا وبلغت خسارة المسلمين مئتي الف وخسارة النصارى خمسة وعشرين الفا . وتسمى العقاب في التواريخ الاسبانية لاس نافاس دوطولوزه Las navas de Toloza .

(11) لما انهزم الامام محمد النفس الزكية بفخ امام جيوش أبي جعفر المنصور سنة 145 هرب اخواه ادريس وسليمان الى المغرب أما ادريس الاكبر فبويع بوليلى بزرعون واسس الدولة الادريسية الشهيرة واما

الخزرية (12) ومقراً لحركة كثير من رؤساء زناتة ومتغلبي قبائل الامازيغ (13) وكانت في مختلف الازمنة مركزاً دينياً مميزاً بشمال افريقيا، وداراً مشهورة للعلماء والادباء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس يؤمها الطلاب والشيوخ من كل البقاع والاصقاع .

فلما اتخذها بنو عبد الواد عاصمة لهم - ولم يكن لهم بد من ذلك بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها الدينية — تبحر عمرانها ونما سكانها ، وامتلا بلاط ملوكها بالشعراء والكتاب ، والقضاة

سليمان - او على الاصح والده محمد بن سليمان - فانه وبع بتلمسان وانشا الدولة السليمانية التي حكمت المغرب الاوسط ، واستمر اولاده في الملك الى ان ظفر البوري بن موسى بن ابي العافية بالحسن بن ابي العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان الحسني اللاجي الى ارشكول وبعث به الى عبد الرحمان بن محمد سنة 338. (12) عائلة مغراوية زناتية كانت تملك تلمسان وجميع بوادي زناتة ، كان امراؤها شيعة لبني امية لاسلام جدهم خزر بن حنص على يد امير المؤمنين عثمان بن عفان (ض) .

(13) الامازيغ ومعناه الشرفاء - هم سكان شمال افريقيا الاولون وهم يدعون خطأ — وغرضا ايضا — البربر ، الكلمة الدخلية التي دسها اليهود في قاموس القومية المغربية .

والفقهاء، وتوافد عليها المثقفون من المغرب والاندلس، ليخدموا ملوكها، أو ليمدحوهم ويستجدوا نوالهم.

في هذه السنوات التي تعد بحق فاتحة عصر تلمسان الذهبي، ولد ونشأ بتلمسان، فحل من فحول الادب العربي وعلم بارز من أعلامه، وراوية خبير من رواة اللغة، هو أبو عبد الله محمد بن خميس، شاعر المئة السابعة، الذي نعتني اليوم بدراسة آثاره، وكشف الستار عن حياته، بعد أن أهمله قومه في الحياة وبعد الممات.

حياته

اسمه ونسبه

أبو عبد الله، محمد بن عمر، بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر(14) بن محمد بن خميس الحميري الحجري الرعيني(15) التلمساني، ينمي نسبه إلى حمير، وحجر ذي رعين، مساكن باليمن وكان مترجمنا يفتخر بهذه النسبة، ويرددها كثيراً في شعره ونثره

(14) كذا في ازهار الرياض (مخطوط الاسكوريال) (15) بفتح الحاء وسكون الحيم

ابن خميسن

كما تخيله الرسام التلمساني البارع السيد البشير بن يلس

كقوله :

و ان انتسبت فاني من دوحة * تخيل الانساب برد ظلالها
من حميـــر من رعين من ذرى * حجر من العظماء من أقيالهـــا

وقوله :

يعض ويشجى نهشل و مجاشع * بما أورثتني حمير والسكاسك

ولادته :

ولد بتلمسان عام 650 كما فى رحلة العبدرى ، ويفهم من كلام ابن خاتمة فى مزية المرية أنه ولد قبل ذلك بقليل

أسرته ونشأته :

ومن هنا تبدأ فترة غموض طويله من حياة ابن خميس فالمصادر التاريخيه المطبوعة والمخطوطة التي أمكننا الاطلاع عليها ، لا تتحدث عن أهله وأسرته ، ومركزه الاجتماعي في الوسط الذي كان يعيش فيه ، كما لا تتحدث عن الشيوخ الذين أخذ عنهم والفنون التي قرأها ، والاماكن التي تلقى فيها تلك الفنون ، ويغلب على الظن أن أسرة ابن خميس أسرة خاملة غير نابهة ، وأنه نشأ فى وسط فقير بئيس لا يمت إلى العلم والمال بسبب ، وماظنك ببيئة رجل كان يأوي إلى الفنادق وينام على سلائخ الضأن ! ! وأجمع من

كتبوا عنه على وصفه بالتقلل والانزواء، والتجرد والعزلة؟.

ولا يبعد أن يكون أخذه عن المشايخ الذين كانوا يسكنون الحاضرة التلمسانية، وما أكثرهم بها يومئذاك، فقد كانت تشهد في ذلك الوقت قيام دولة مجيدة من أعظم الدول التي شهدها المغرب الاوسط، وفد عليها العلماء والادباء من كل الجهات، فأجزل ملوكها صلاتهم، وتبارزوا في إكرامهم والبرور بهم، وأسندوا إليهم أرفع المناصب الحكومية، عدى من كان بتلمسان من عباقرة أبنائها وجهابذة أنجالها، ومن المفرح المقر للاعين أن التاريخ حافظ لنا على الكثير من أسماء أولئك الاعلام، كأبي إسحاق التنسي (16) وأخيه أبي الحسن، والامام محمد بن مرزوق جد الجد (17) وأبي بكر بن داود بن خطاب الغافقي

(16) ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (نسبة الى تنس الجزائرية لا الى تونس) المطماطي ثم التلمساني، أحد اعلام المغرب وفحول فقهائه أسندت اليه رئاسة الفتوى والتدريس في القرن السابع، وكانت الاسئلة ترد عليه لتلمسان من اقطار المغرب وافريقيا كلها، توفي في حدود سنة 670، وكان أخوه ابو الحسن نظيره في العلوم والمعارف. (17) الفقيه المحدث، ابو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني جد ابن مرزوق الخطيب، ولد في حدود سنة 629 وتوفي في رجب 671

(18) وأبي الحسن الخزاعي(19) وغيرهم فلا يبعد أن يكون ابن خميس أخذ عن هؤلاء وأضرابهم فنون الوقت التي كانوا يحسنونها، كعلوم الدين واللغة، والجدل والتصوف والتاريخ.

وعسى أن يكون فيما كتب ابن الخطيب (20) في الاحاطة وعائر الاعلام، وابن خاتمة (21) في مزية المرية، والقاضي الحضرمي

(18) الاديب الكبير محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، الكاتب البارع، والشاعر المجيد، كاتب السلطان يغمراسن بن زيان، توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة 670 (19) الفقيه الاديب الكاتب علي بن مسعود الخزاعي توفي سنة 670.

(20) اديب الاندلس الاكبر الغني عن التعريف به، توفي بغرناطة قتيلا سنة 776.

(21) احمد بن علي بن محمد الانصاري يكنى أبا جعفر وأبا العباس ويعرف بابن خاتمة أديب كبير وشاعر ولد بالمرية سنة 710 وأخذ عن أبي البركات البلفيقي وابن لبون وابن ابي العيش وكتب لولاة بلده ثم انقطع للاقراء بجامع بلده الكبير بقية حياته وأهم تاليفه كتابه الجليل مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية ألفه في بيان فضل باده عندما عدت عليها العوادي وهذا الكتاب اليوم مفقود، وآخر العهد به ما ذكره أبو العباس المقري التلمساني صاحب

(22) في الدر النفيس، ما يجلي الغياهب عن عائلة ابن خميس ونشأته وتلتيه، وأنه رجاء ضعيف، فقد عاش الرجل مجهولا عند أهله وبني بلدته، فكيف به عند غيره ؟! ، ولم ينبه له ذكر حقى في الكبر يوم أصبح فارس حلبة القريض والبيان (23)

قال السلطان أبو عنان (24) رحمه الله: أخبرني شيخنا الامام العالم العلامة، وحيد زمانه، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي (25) رحمه الله، قال: لما توجه الشيخ الصالح الشهير، أبو إسحاق

نفح الطيب وأزهار الرياض وغيرها من انه كان يملك منه نسخة ضخمة تركها مع كتبه بالمغرب عند سفره للمشرق. وكانت وفاة ابن خاتمة في سابع شعبان عام 770.

(22) سياتي ذكر القاضي الحضرمي هذا فيما بعد

(23) ومثال ذلك أن بلديه الشريف ابن مريم المليتي ترجمه في أربعة أسطر في كتابه البستان.

(24) السلطان الجليل الشهير: أبو عنان فارس بن السلطان أبي الحسن المريني ثار بتلمسان على أبيه عام 749 عند ما بلغه انكساره بتونس وغرق أسطوله الضخم، واستمر في الملك بعده عشرة اعوام، وهو صاحب المآثر العظيمة بالمغربين الاقصى والاوسط.

(25) محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الابلي التلمساني، الامام

التنسي من تلمسان إلى بلاد المشرق ، اجتمع هناك بقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد (26) فكان من قوله :

— كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس ؟ وجعل يحليه بأحسن الاوصاف ، ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ (أي التنسي) متعجبا وقال :

— من يكون هذا الذي حليتموه بهذه الحلي ولا أعرفه ببلاده؟!؟!

العالم العلامة ، المجمع على امامته ، ولد سنة 671 ، ونشا في كفالة جده قاضي تلمسان محمد بن غلبون ، واخذ عن ابي الحسن التنسي ، وابي موسى بن الامام ، وبرع في التعليم ، ورحل في اواخر السابعة الى المشرق ودخل مصر والشام والعراق والحجاز ثم عاد الى تلمسان واقام بها مدة ثم دخل المغرب الاقصى وعاد الى تلمسان وله فوائد ونوادر كثيرة منقولة في نفح الطيب وفي كتابنا انوار نيسان وكانت وفاته بفاس سنة 757 .

(26) محمد ابو الفتح بن ابي الحسن علي بن ابي العطاء القشيري المنفلوطي المنعوت بتقي الدين بن دقيق العيد ولد بساحل مدينة الينبع من ارض الحجاز سنة 625 ، وسمع بمصر والشام وتفرد بين أهل زمانه بالتضلع في العلوم والتمكن منها ، وكان من أعلام المذهبين المالكي والشافعي وأفتى بهما وله باع في الحديث والاصول والعربية وسائر الفنون مع تآليف كثيرة في علوم الدين توفي سنة 702 .

فقال :

— هو القائل : عجبا لها أيذوق طعم وصالها

فقال : فقلت :

— إن هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التي وصفتم ، وإنما هو عندنا شاعر فقط !! .

فقال له :

— إنكم لم تنصفوه ، وإنه لحقيق بمثل ماوصفناه به .

في ديوان الانشاء :

وكما أهملت المصادر التاريخية ذكر شيوخه ، وأطوار نشأته أهملت كذلك كل شيء يتصل بحياته ثلاثين عاما أو تزيد، ولولا الفقرة الواردة عرضاً في رحلة العبدري ، المتعلقة بولادته ، لكان أول ما نعرف عن وجوده ، ولايته الانشاء (27) بديوان السلطان أبي سعيد (28) بن السلطان يغمراسن (29) بن زيان ، وحتى هذه الوظيفة

(27) بغية الرواد . ج 1 ص 117

(28) السلطان الهمام ابو سعيد بن السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان ثاني سلاطين بني عبد الواد ولد بتلمسان عام 639 وبويع بعد وفاة أبيه وتوفي بغرناطة يوم السبت غرة ذي القعدة 703 ، وكان شهما مقداما ، محببا الى القلوب ذا سياسة وصبر . (29) أمير المسلمين السلطان الجليل الشجاع الكبير يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة العبد

لا يعرف تاريخها الحقيقي ، لطول مدة تملك السلطان أبي سعيد فقد بقي متربعاً على عرش تلمسان اثنين وعشرين سنة والظاهر أن ابن خميس لم يتول الكتابة في أوائل ملكه ، فقد زار تلمسان بعض الرحالين بعد ملك أبي سعيد بثمانية أعوام ، واجتمع بابن خميس ، ووصفه بالقلة والخمول ، ولم يشر إلى أنه عمل أو يعمل بالبلاط ، ومن عادته أن لا يغفل عن مثل ذلك .

مع الرحالة العبدري

ولما ورد على تلمسان ، الرحالة المغربي الكبير أبو عبد الله العبدري الحاحي (31) سنة 688 . أكثر مجالسة ابن خميس ومفاوضته وبه كان يأنس مدة إقامته في انتظار ركب الحج ، وأعجبه حاله وذهنه ، وقد وجده في حال انزواء وتقلل من الدنيا ، وأثنى عليه

الوادية الزيانية ولد سنة 603 وبويع بعد وفاة أخيه الامير أبي عزة زيدان يوم الاحد 23 ذي القعدة سنة 681 وتوفي برهيو من وادي شلف يوم الاثنين 24 ذي القعدة 633 ومن مآثره بناء صومعة الجامع الكبير وصومعة مسجد أكادير بتلمسان .

(31) محمد بن بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحاحي ، شيخ أبي القاسم بن رضوان . وصاحب الرحلة النفيسة التي بدأها من حاحة يوم 25 ذي القعدة سنة 677 وشرع في تقييدها بتلمسان ، ورحلته هذه

مع ما اشتهر به العبدري من نقد لاذع، وطنز مفذع، وضن بالنعوت والالقاب، وقال إنه لم ير بتلمسان من يتمي للعلم ولا من يمت إليه بسبب سواه، (فتي السن، مولده عام خمسين، له عناية بالعلم، مع قلة الراغب فيه والمعين عليه، وحظ وافر من الادب، وطبع فاضل في قرض الشعر). وساق كثيرا من أخباره الادبية، وأشعاره ومروياته التي أنشده إياها بنفسه. (32)

في سبتة:

ولا نكاد نعرف بعد ذلك شيئا عن ابن خميس، حتى نلقيه وافداً على حاضرة سبتة (33) مقدماً بين يديه قصيدته

جليلة نبيلة، الا أنه أكثر فيها من جلب النقائص وذكر المثالب حتى قال فيه الرحالة الناصري: انه لو أمكنه أن يقول في الحرمين هجواً لقال.

(32) قد نقلنا جميع ما كتبه العبدري عن تلمسان في الجزء الاول من كتابنا أنوار نيسان

(33) مدينة سبتة Centa مدينة مغربية واقعة على بحر الزقاق (بوغاز جبل طارق) وهي في أقدم مدن العالم افتتحها المسلمون سنة 62 هجرية ومنها عبر المجاهد المازيغي طارق بن زياد البحر للاحتلال الاندلس سنة 92. وأصبحت بعد ذلك مركز حضارة الاسلام والعروبة

ابن خميسن

(.....وآخر العهد به مطرحاً بالعراء خارج باب الفخارين لا يعلم مكانه لمكان الهرج فى هذه الايام)

ابن الخطيب

في مدح أبي طالب العزفي (34) أميرها ، ورثاء تلمسان وهجو

بالشمال الافريقي وظهر من بين أبنائها كثير من أئمة العلم والادب كالقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي وأبي عبد الله بن الفخار والشريف السبتي شارح مقصورة حازم ، ومالك بن المرحل الشاعر الكبير ، وقد بقيت سبتة في حوزة الاسلام الى ان استولى عليها نصارى البرتقال يوم الاربعاء 15 جمادى الثانية سنة 818 ثم انتقلت الى ملك اسبانيا حيث بعثت اليها حامية وسكانا واحتفظت بها الى ايامنا هذه بحيث تعد قانونياً جزءاً من تراب اسبانيا الوطني تابعاً لمقاطعة قادس ، وقد كان بسبتة اياه كانت في حوزة الاسلام الف مسجد ، وسبعة واربعون رباطاً وزاوية واثنتين وستين خزانة علمية الخ ، اما اليوم ، فانه لم يبق فيها اثر واحد من آثار المسلمين الا آثاراً سوارلا اهمية لها مع مسجد انشأته الحكومة المغربية اخيراً ، كما شاهدنا ذلك اثناء زياراتنا المتعددة لهذه البلدة الجميلة الممتعة سنتي 58 ـ 1359

(34) العزفيون اسرة عربية لخمية عريقة في المجد ، من اكبر بيوتات سبتة واهل الرئاسة والعلم والدين فيها ، استبدوا بملك سبتة ونواحيها سنة 647 في خلافة عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبد المومن ، ولما جد أمر بني مرين دخل ابو القاسم العزفي في طاعتهم بعد قتال شديد فابقوه على ما كان عليه ، ثم استولى الرئيس ابو سعيد فرج

ملوكها ، وتملق أبى يعقوب المرينى (35) محاصرها . وقد ـ كتت سائر المصادر التى اطلعنا عليها ، عن ذكر دواعى رحيل ابن خميس من تلمسان ، وأسباب تقمتـه على مستخدميـه ، وبيان الطرق التى سلكها للوصول إلى ثغر بحر الزقاق البهيج (36) .

بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة على سبتة وغرب العزفيين الى غرناطة ، فاستقروا هناك الى ان طرد ابو الربيع المرينى بنى الاحمر عن سبتة ، فطلبوا الاذن بالرجوع الى المغرب فاذن لهم وعادوا واستوطنوا فاس ، ولما تملك السلطان ابو سعيد المرينى ولى ابازكرياء يحيى بن أبى طالب العزفى المذكور على سبتة لما نشأ بينهما من المودة أيام كان يحضران معا مجلس أبى الحسن الصغير بالقرويين ، ثم عزلوا من ولايتها واستخدموا لفاس فتقدم أبو زكرياء وابوه ابو طالب وعمه ابو حاتم.

وقد اشتهر العزفيون بحبهم للعلم وصدق نيتهم فى الدفاع عن البلاد والجهاد فى سبيل الله ، ومن اعظم مآثرهم انشاؤهم لعادة الاحتفال بعيد المولد النبوي بالبلاد المغربية .

(35) السلطان ابو يعقوب يوسف بن عبد الحق المرينى ، ولى بعد وفاة ابيه في محرم 685 ، وحاصر تلمسان الحصار الطويل الشهير وعليها هلك فى ذى القعدة سنة 706 .

(36) بحر الزقاق في الاصطلاح الاندلسى ، المغربى هو مضيق جبل

على أننا اذا عدنا إلى شعر ابن خميس نستصرحه عما جمجمت عنه الروايات والنصوص نلفى فى البقية الباقية من هذا الشعر ما يتيح لنا فهم دواعى الرحيل وأسباب النزوح ، ففى اخر القرن السابع حاصر سلطان فاس يوسف بن عبد الحق المرينى تلمسان حصارا وحشيا استمر مئة شهر ، نفدت فيه الاقوات وهلكت النفوس وخلال هذا الحصار تحركت فى ابن خميس عاطفة إنسانية ، بعد ما شاهد هول المجاعة وفناء الناس ، فدعا العائلة المالكة إلى ما يرتجى من صلاحها ، وصلاحها — على ما يظهر — أن تقبل الدخول فى طاعة بنى مرين وتبقى حاكمة للبلاد باسمهم ، فأبى على ملوك تلمسان كبرياؤهم ، وعزة نفوسهم أن يقبلوا مثل تلك الاهانة ، او يجيبوا إلى هذه الضعة ، وباعوا وداد ابن خميس بخسا ، وأغروا بقتله خصومه سرا ، فجاء أولئك الخصوم لقتله صراحة ، ولعل مكيدتهم فشلت فأقسموا لابن خميس أنهم لم يكونوا يريدون إلا ممازحته ، فشاور نفسه فى شان هذه المداعبات الثعبانية ، فدلته على أن لا نجاة فى البقاء بجانبهم :

طارق ويقال له ايضا بحر المجاز

ولولا سخائم قوم أبوا * إيابي ركبت إليك الرياحا
أباحوا حماي وكم مرة * حميت حمى عرضهم أن يباحا
ودافعت عنهم بشعري انتصاراً * فكان الجزاء جلاي المتاحا
أباعوا ودادي بخساً فسل * أكان سماحهم بي رباحا
واغروا بنفسي طلا بها * سراراً فجاءوا لقتلي صراحا
وعالوا يميلاً على أن ما * توهمت لم يك الامزاحا
فشاورت نفسي في ذاك فما * رأت لي بغير الفلاة فلاحا

غادر ابن خميس تلمسان ، محلا بني عبد الواد تبعة شت شمله ، وفتق رتقه ولا نعرف الوسيلة التي مكنته من الفرار ، ولا السبيل الذي تبعه للوصول الى سبتة ، ولا تاريخ الفرار والراجح أنه لم يركب البحر الى سبتة ، ولم يسلك الطريق المار بفاس ومكناس والقصر الكبير ، وأنه سلك سبيل ملوية والريف ، فقد وصف سبل سفره بأنها أفاحيص فيح قفار ، وأدا حي غبر فساح وهذه النعوت تنطبق تماماً على البسائط المقفرة التي يتكون منها الريف وما بين نهري تافنا وملوية :

فبت أناغي نجوم الدجا * نجاء فلم ألف الا نجاحا
أجوب الدياجير وحدي ولا * مؤانس الا القطا والسراحا

والا الثعالب تختلس فى * يمينى فتملا سمعى ضباحا
أجوز الافاحيص فيحا قفاراً * وأعرو الاداحي غبراً فساحا

كما يرجح أن الرحيل عن تلمسان، كان فى اخر عام 703 فان بين أيدينا من شعر ابن خميس قصيدة لاميه بليغة، مدح فى اخرها بنى عبد الواد، وسيدهم أبا زيان، وقد بويع أبو زيان (37) بالملك بعد وفاة أبيه أبى سعيد يوم الاحد ثانى ذى القعدة فلا يبعد أن يكون الشاعر بقي في بلده الى هذا التاريخ(38)

ورد ابن خميس على سبتة بقصد الاقراء والاقامة. وبين يديه قصيدة غربية فى موضوعها، مدح فيها سبتة، وأشاد بمائها وهوائها ورقتها واعتدالها. ورواء بساتينها وحدائقها، وجمال أبحرها وجبالها واثنى على نفسه أن لايرتوي غير مائها، وان لايحط رحله

(37) السلطان الجليل ابو زيان بن ابى سعيد بن يغمراسن ولد بتلمسان سنة 659 وبويع سنة 703 وتوفي صبيحة يوم الاحد 21 شوال عام 707

(38) بعد كتابة ماتقدم راينا في دراسة بالفرنسية لابن خميس كتبها الاستاذ عبد السلام مزيان ان ابن خميس غادر تلمسان في حدود 693 ولا ندرى مستنده فى ذلك. انظر IBN KHAMIS Poète Tlemcenien du XIII Siècle. و Deuxième congrès de la fédération des sociétés savantes de l'Afrique du Nord. T II P. 1057

الا بقعرها .

تركت لمينا سبتة كل نجعة * كما تركت المعز أهضامها شمخ

وءاليت ان لا ارتوى غير مائها * ولو حل لى فى غيرها المن والمذخ

وأن لا أحط الدهر إلا بقعرها * ولو بوأتنى دار إمرتها بلخ

والتفت الى العزفيين أمرائها ، فاجاد مدحهم ، والثناء عليهم ، ورد إليهم المفاخر وجعلهم أصل المكارم والمآثر :

وأملاكها السيد المقاولة الاولى * لعزهم تعنو الضراغمة البلخ

كواكب هدي فى سماء رئاسة * تضيى فما يدجو ظلام ولا يطخو

ثواقب أنوار ترى كل غامض * إذا الناس فى طخياء غيهم التخوا

وروضات ءاداب اذا ما تارجت * تضاءل فى أفياء أفنانها الرمخ

يريد بذلك كسب مودة أهل سبتة ، وغنم عطفهم ، بعد أن رمته الايام بالرزايا والمحن ، والبعد عن الاهل والوطن .

ولكنه الفى فى هذه المدينة من مكر الماكرين ، وكيد الكائدين ، ما أقض مضجع غريب مثله ، وجعله يرحل عنها سريعاً لا يلوى على شيء ، فقد أوعز ابن أبى الربيع ، الى طلبة سبتة ، أن يلقوا على ابن خميس اسئلة يراد بها اعجازه ، فاجتمع اليه عيون الطلبة ذات يوم ، والقوا عليه مسائل من غوامض

الاشتغال ، فحاد عن الجواب عنها بأن قال لهم :

أنتم عندى كرجل واحد .

يعنى أن ماألقوا عليه من المسائل انما تلقوه من ابن أبى الربيع ، فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما ، وقال له

— ان كنت بالمكان الذى تزعم ، فأجبنى عن هذه المسائل من باب علامات الاعراب التى أذكرها لك . فان أجبت فيها بالصواب لم تحظ بذلك فى نفوسنا بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل ، وان اخطأت فيها لم يسعك هذ البلد ، وهي 1) انتم يازيدون تغزون 2) أنتن ياهندات تغزون ، 3) أنتم يازيدون وياهندات تغزون 4) أنت ياهند تخشين ، 5) أنتن ياهندات تخشين 6) أنت ياهند ترمين ، 7) انتن ياهندات ترمين 8) انتن ياهندات تمحين او تمحون كيف تقول ؟ 9) انت ياهند تمحين او تمحون كيف تقول ؟ 10) انتما تمحيان او تمحوان كيف تقول ؟ وهل هذه الافعال كلها مبنية أو معربة ؟ أو بعضها مبنى وبعضها معرب ؟ وهل هي كلها على وزن واحد أو اوزان مختلفة ؟ علينا السؤال ، وعليك التمييز لنعلم الجواب !!

فبهت الشيخ وشغل المحل بان قال

– إنما يسأل عن هذا صغار الولدان

فقال الفتى

– فأنت دونهم إن لم تجب

فانزعج الشيخ وقال

– هذا سوء أدب.

ونهض ولم يصبح الا بمائة.

وقد أجاب عن الاسئلة الامام ابن الفخار (39) والامام ابن مرزوق الحفيد (40) فى شرحه الواسع المسمى بتمهيد المسالك لى شرح ألفية ابن مالك واعتذر عنه فقال: لعله استسهل أمرها.

(39) محمد علي بن احمد الفخار الجذامى، الاركشي ولد بعد سنة 680 وكان عالما حافظا عارفا بالفقه والاداب والحديث خرج من أركش بعد استيلاء العدو عليها فاستوطن شريش ولما استولى عليها النصارى أيضا لحق بالجزيرة فاخذ بها عن ابن خميس ومنافسه بى الحسن بن ابي الربيع له مؤلفات شهيرة فى فنون دينية

(40) محمد احمد مرزوق العجيسي التلمساني علامة الدنيا الشهير بالحفيد الامام الحافظ الغني عن التعريف به صاحب التاليف العديدة فى مختلف العلوم والفنون ولد سنة 766 وتوفي سنة 842.

قال أبو العباس المقرى (41) : وما قاله رحمه الله فى الاعتذار عن ابن خميس هو اللائق بمقامه، فان مكان ابن خميس من العلوم غير منكر، وقد مدحه ابن خطاب بقوله :

رقت حواشى طباعك ابن خميس * فهفا فريضك لى وهاج رسيسى
ولمثله يهفو الحليم ويمترى * ماء الشباب به وسير العيس
أنت فى البلاغة والفصاحة بعض ما * تحويه من أثر محل رئيس
نظم ونثر لا تجارى فيهما * عززت ذاك وذا بعلم الطوسى (42)

فى غرناطة مع الوزير ابن الحكيم :

وكانت مالقة، أول ماوطئته قدما ابن خميس من أرض الاندلس، ومنها قصد غرناطة، فاحتل بها اخر سنة 703، وكان أميرها يومئذ محمد الثالث النصرى المعروف بالمخلوع، ووزيره يومئذ أبو عبد الله بن الحكيم (43)، وقد دخل هذا

(4) نفح الطيب ج 3 ص 187 المطبعة الميرية

(42) أبو حامد الغزالى، فيلوسوف الاسلام الشهير المولود بطوس عام 450

(43) ذو الوزارتين، محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم اللخمى الرندى المعروف بابن الحكيم، الاديب الكبير، الذائع الصيت، ولد برندة فى ربيع الاول 660، واستكتبه الامير ابو عبد الله محمد بن محمد النصرى

الوزير تلمسان صحبة الاديب الكبير أبي عبد الله بن رشيد ، في الطريق إلى الحج ، وكان أديباً عظيماً ، ملكي الخزانة والصلة ذا عناية بالعلم والادب . وعطف على ذويهما منقطع النظير ، وقد أنشأ حوله مجلساً ضم من متاعطيمها كل نابغة مبرز ، كعبد المهين الحضرمي (43) وأبي العباس العزفي ، والمحدث أبي عبد الله بن سيد (44) وأبي عبد الله بن رشيد (45) فلما قدم ابن خميس غرناطة ، وقعد لاقراء العربية بها ، لم يجهل الوزير قدره ، فقد كان ذكره وشعره

في خلافته ، على أثر قفوله من الحج ، ولما توفي الامير المذكور ، قلده أبو عبد الله المخارع الوزارة والكتابة ، فساند بؤون الدولة الى أن قتل يوم عيد الفطر من عام 708 .

(43) أبو محمد عبد المهين الحضرمي السبتي ، رئيس الكتاب بالحضرة السلطانية ، وكاتب العلامة بها ، توفي بتونس سنة 747 .

(44) لعله محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن سيد الناس ، الخطيب الحافظ اللغوي الشهير .

(45) محمد بن عمر ، الفهري ، المعروف بابن رشيد بالتصغير ، ولد بسبتة سنة 657 ، وحج وكتب رحلة حافلة سماها : ملء العيبة ، واحضار ، جمع بطول الغيبة ، في الرحلة الى مكة وطيبة توفي بفاس يوم 21 محرم عام 721 ودفن بمطرح الجلة .

وصلاه قبل مجيئه، فضمه إلى مجلس أولئك الأعلام، ونظمه فى سلكهم فتغنى الشاعر بأياديه البيض، وأبدع — ماوسعه الابداح — فى وصف جود الوزير ونداه، وأصبح الطائر الصداع بفضله وغيره صداه، قال ابن خاتمة:

« ثم أجاز البحر إلى الاندلس، فاحتفل بحضرة غرناطة فى أواخر سنة ثلاث وسبعمئة، فى جوار الوزير أبى عبد الله بن الحكيم، فتعارضا حقل المجد، وتباريا فى الرفد والحمد، فأذن له ذو الوزارتين بأخلاف بره وإكرامه، وخلع عليه ابن خميس أفواف نثره ونظامه، فله فيه القصائد التى حليت بها لبات الآفاق، وتنفست عنها صدور الرفاق »(46).

فى مالقة والمرية:

وفى سنة 706 زار ابن خميس مالقة، ومنها قدم على المرية، فنزل بها فى كنف القائد أبى الحسن بن كماشة، من خدام الوزير أبى عبد الله بن الحكيم، (فوسع له فى الايثار والمبرة، وبسط له وجه الكرامة مطلق الاسرة)(47) وبها مدح الوزير ابن الحكيم بقصيدته التى أولها:

(46-47) نفح الطيب (رواية المقري فى أزهار الرياض)

العشي تعيى والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

ووجه بها إليه ، وهي طويلة منها في حق ابن كماشة :

ورسائل ابن كماشة * مع كل بازغة وبازغ

تاتي بما تهوى النفا * نع من شهيات اللغالغ

تلاميذه وأصحابه :

وإذا كان التاريخ حرمنا من معرفة شيوخ ابن خميس ، فانه أبقى لنا على أسماء بعض تلاميذه ، ورواة شعره ، وجلسائه وأصدقائه ، بتلمسان وسبتة والاندلس ، فمن تلامذته ، الامام النحوي محمد بن علي بن الفخار الجذامي ، والفقيه الاديب ، الحسن بن بشر البلوي (48) ، وأخذ عنه معلقاً الاديب البارع محمد بن ابراهيم بن عيشون البلفيقي (49) أما رواة شعره ، فمنهم القاضي الجليل عبد المهين الحضرمي ، والاديب الكاتب ، يحيى بن علي

(48) الحسن البلوي ، ابو علي ، الاديب اللغوي مات يوم عيد الفطر عام 740 .

(49) محمد بن ابراهيم : حزب الله بن عيشون ، الرواية المشارك في علوم الفقه وفروعه ، وعلم اللسان وصناعة المنطق ، الشاعر المجيد .

التميمي (50) ، والقاضي محمد بن عبد الرزاق (51) ، والقاضي أبو البركات بن الحاج (52) والاستاذ أبو عثمان بن ليون (53) والرحالة العبدري ، وسواهم كثير ، وكان ابن خميس كثير الافتخار بلقاء حازم القرطاجني (54) صاحب المقصورة الشهيرة ، ويقول حازم وما أدراك ما حازم (55) يردد ذلك في أكثر أوقاته .

ومن أصدقاء ابن خميس ورفقائه ببلده ، الفقيه ابو عبد الله بن حمدون ، والكاتب الشاعر اللغوي أبو زكرياء يحيى بن عصام ، وبالاندلس الطبقة النابهة من رجالها يومئذ .

---

(50) أديب شهير من أهل المرية ، يعرف بابن زرقالة ، توفي سنة 730

(51) محمد بن عبد الرزاق الجزولي ، نشأ بفاس ، وأخذ عن مشيختها ورحل الى تونس ، فلقي القاضيين ابن عبد الرفيع والنفزاوي ، ثم عاد الى المغرب ، ولازم الاكابر ، الى أن ولاه السلطان ابو الحسن المريني قضاء فاس فبقي عليه أن عزله بالامام المقرى ، توفي سنة 758 .

(52) محمد بن ابراهيم البلفيقي السلمي ، من ذرية العباس بن مرداس شاعر مفلق توفي عام 771 .

(53) سعد بن احمد بن ليون التجيبي من أهل المرية

(54) حازم بن احمد الفرطاجني صاحب المقصورة الشهيرة في مدح أبي زكرياء الحفصي التي شرحها الشريف السبتي ولد سنة 608 وتوفي سنة 684

(55) رفع الحجب المستورة ج 1 ص 2

مقتله :

وكان ابن خميس ينوى الرحيل عن غرناطة ، والاوبة إلى بلده المحبوب الذى اشتد شوقه إليه ، ونظم فى الحنين إليه القصائد المبكية المشجية ، ولما بلغ ذلك الوزير ابن الحكيم شق عليه وقيل للشاعر فى ذلك بحضرة الوزير فقال : انا كالدم بطبعه أتحرك كل ربيع وبينما هو يستعد للسفر ويتهيأ للعودة إلى وطنه إذ أخترسته الاقدار بلبلا صادحا ، وفجعت به دولة الشعر والادب ، فخر صريعاً بجانب الوزير ابن الحكيم عند ماحلت به النكبة ، وكان آخر ماصدر عنه من الشعر قوله :

لمن المنازل لايجيب صداها * محيت معالمها وصم صداها

وهو مطلع قصيدة عيدية فى مدح الوزير ، على عادته معه ، وبعد نظم المطلع المذكور فى شهر رمضان ، جفت قريحة الشاعر ، ونضب معينها ، ولم يستطع أن يزيد عليه شيئاً ، قال ابن خاتمة : (فأشار بمناه إلى منعاه . وأذن أولاه بحضور اخراه) (١)

---

(١) قال الشريف السبتى فى رفع الحجب المسورة (ج 1 ص132) ومن العجائب التى يحر هذا المعنى ذكرها مما حدثنا به بعض أصحابنا قال كان الوزير أبو عبد الله بن الحكيم قد أشخصنى من سبتة الى غرناطة

وقد وصف مقتله غير واحد من الاعلام ، كيحيى بن خلدون (66) فى بغية الرواد ، وأبى العباس المقري (67) فى

وأسكنني فى بعض الاماكن المتصلة بداره فلما كان شهر رمضان الذى قتل ابو عبد الله فى صبيحة يوم الفطر بعده وشرع ابو عبد الله بن خميس فى قصيدة عيدة فى مدحه على رسمه معـــه فقال.

لمن المنازل لايجيب صداها ● محيت معالمها وصم صداها

وأحلت فريحته فلم يستطع ان يزيد على هذا البيت كلمة واحدة الى ان انقضى شهر رمضان وقتل الوزير أبو عبد الله فى صبيحة يوم العيد وقتل معه ابو عبد الله ابن خميس وهدمت أرجاء الدار التي كان يسكنها واستولى النهب عليها قال : فمررت بعد أيام قليلة عليها وهى خلاء والبيت الذى قاله ابن خميس مكتوب على بعض حيطانها قد كتب تحته بخط ماخر كالمجيب له. ..لابن حكيم! فكانت من أكبر العبر .

(66) أبو زكرياء يحيى بن خلدون أخو الامام عبد الرحمان بن خلدون فخر المؤرخين المسلمين. كاتب أديب وشاعر مجيد تولى الكتابة للسلطان أبى حمو الثانى ملك تلمسان والف له كتاب بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد وأيام أبى حمو الشامخة الاطواد توفي قتيلا عند خروجه من مشور تلمسان فى رمضان سنة 780 .

(67) أديب مصره وباقعة عصره ابو العباس احمد بن محمد المقرى القرشى التلمسانى خاتمة رواة الادب الاندلسى الافريقي وصاحب

نفح الطيب وأزهار الرياض ، وابن الخطيب فى الاحاطة ، وابن القاضى (68) فى درة الحجال ، وعرض ابن خاتمة فى مزيته المرية وصفاً مؤثراً لمصرعه فقال :

(وكانت وفاته بحضرة غرناطة قتيلاً ضحوة يوم عيد الفطر مستهل شوال سنة ثمان وسبعمئة وهو ابن نيف وستين سنة (69) وذلك يوم مقتل مخدومه الوزير ابن الحكيم ، أصابه قاتله بحقده على مخدومه ، ويقال إنه لما هم به قاتله (7) قال له أنا دخيل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت إليه

التآليف العظيمة كنفح الطيب ، وأزهار الرياض وفتح المتعال وغيرها توفي بالقاهرة سنة 1041 .

(68) أحمد بن محمد بن القاضى المكناسى الزقاقى من ذرية موسى بن أبى العافية ولد عام 960 وأخذ بفاس عن أشهر علماء الوقت ورحل للمشرق فاخذ به عن اعلامه ثم رجع للمغرب ثم رحل الى الحج سنة 904 فاسره النصارى وقى بايديهم الى ان افتداه السلطان احمد المنصور الذهبي وكانت وفاته فى عام 1025 وله مؤلفات تاريخية جليلة كدرة الحجال وجذوة الاقتباس والمنتقى المقصور وغيرها .

(69) انظر ص 17 من هذا الكتاب

(70) قال ابن خلدون فى بغية الرواد (ج 1 ص 39) طعنه الرئيس

وجعل يجهز عليه ، فقال لم تقبل الدخيل ، الله بينى وبينك ، فكان آخر كلامه : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انه استفاض من حال القاتل أنه هلك قبل أن يكمل سنة من حين قتله ، من فالج شديد أصابه فكان يصيح ويستغيث ، ابن خميس يطلبنى ، ابن خميس يضربنى ، ابن خميس يقتلنى وما زال الامر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال نعوذ بالله من الورطات ، ومواقع العثرات) .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة (71) :

فر ابن خميس من دهليز دار ابن الحكيم ، فيمن كان بها من الاعلام ، بعد أن نهبت ثيابه حسبما جرى على غيره من الحاضرين ، وهو يقول هكذا تقوم الساعة بغتة ، ولقيه بعض قرابة السلطان ممن كان الوزير قد وتره ، فشرع الرمح إليه ، وءاخر العهد به مطرحا بالعراء خارج باب الفخارين لا يعلم مكانه

علي بن نصر الشهير بالا بكم بر مح فاصطاده ، فاحس المذكور من حينه بطعنة أصابته من يد القدره الالهية بالمكان الذى طعن فيه ابن خميس حرم لاجلها النوم والاكل .

(71) رواية المقري فى أزهار الرياض

لمكان الهرج فى هذه الايام (72).

(72) انظر الصورة التى تخيلها عن مصرعه الرسام الفلمسانى النابغة السيد البشير بن يلس .

ابن خميس
شخصيته وأدبه

أبو عبد الله بن خميس فحل من فحول الادب العربى ، ومفخرة من مفاخر هذا الوطن الكريم ، لكن حياته وأدبه لايزالان مع الاسف مغمورين فى بطون شتى الكتب والدواوين التى لعبت بها أيدى الزمن ، وفرقها شذر مذر ، فلا يعلم مقر أكثرها ، ولا ما صار إليه جلها ، وبعضها المعروف عالت به الأقدار إلى من لايرفعون له قدراً ، ولا يجنون من ورائه نفعاً ، فأصبح فى فم طرهم عليه من الشح والجهالة حراس وحجاب .

وإننا سندرس فى هذه العجالة شخصية ابن خميس وأدبه ، متوخين الاعتدال فى العرض ، والصدق فى الحكم ، وليس فى نيتنا أن نقص من قيمة الشاعر ولا أن نحط من قدر شعره ، كما لانتوى أيضاً أن نرخي العنان لليراعة وندعها تسير على هواها فى سبيل المبالغة والشطط كما يقع عادة لكثير من الكتاب والباحثين فقد يبلغ إعجاب أحدهم بشخصية من الشخصيات البارزة فى عالمى الفن والعلم الى درجة ادعاء أنها أعلى مثل وأكمل نموذج لكل من دب ودرج رجال العلوم والفنون قاطبة ، وتلك عافة كل من يتأثر بشخصية ثم يدرسها على ضوء العاطفة لاعلى ضوء الحقيقة ويقيسها بمقياس الاعجاب الفردى ، لابمقياس الاقرار المشترك ،

ثم لايلبث إلا قليلا حتى تنجلي له الحقائق ، فيندم على ماسبق إليه قلمه ، ويحاول النهوض من عثرة عثرها ، فيجد كتابه ينطق عليه والصحف جافة ، و «الحروف متفرقة» .

على أن فى أدب ابن خميس والحق يقال — مايغرى على ادعاء أنه ياتى فى طليعة كبار أدباء العرب ، وأن أدبه يصح أن يتارن من ناحية المتانة والجودة بأرفع ما أنتجته القرائح العربية فى مختلف الاعصار والامصار ، ولكننا سوف لانحمل أنفسنا عناء هذا الادعاء مخافة أن يكون التأثر بابن خميس أخذ منا كل مأخذ ، وإن لم تفتنا الاشارة الى ماوقع فى النفس منه ، بل نكتفى اليوم بدراسة شخصيته وأدبه بقدر ماوقع لينا من شعره ونثره ، واستطعنا الاطلاع عليه من المصادر التى تحدثت عنه ، أما التحليل الواسع والدراسة العميقة فاننا نرجئها لنا أو لمن ياتى بعدنا فى اليوم الذى تنجلى فيه عن حياة الرجل وأدبه الغياهب وترتفع الاستار والحجب

شعر ابن خميس :

يعد ابن خميس عند كثير من الادباء شاعر المئة السابعة (1)، وهو إذا حمل هذا اللقب فانما يحمله عن جدارة واستحقاق ، فقد

(1) البستان ص 225 .

قل من شعراء هذا القرن من يضارعه فى قوة العارضة وخصب القريحة ، وفيض الخاطر وطول النفس ، وندر من يماثله فى سلاسة المبانى ، وسلامة المعانى ، والنأي عن الابتذال ، ولا جرم أن من يوازن بين شعر ابن خميس وأشعار معاصرية يجد البون بين الانتاجين شاسعاً ، فالسهولة والميوعة والتكلف ضعضعت أشعار هؤلاء وجعلت منها أشباحاً بلا أرواح ، والمتانة والابتكار عضدا شعر هذا وسموا به حتى صح أن يقارن بأشعار الفحول من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام .

ولقد أجمع من أشاروا إلى ابن خميس ولو بكلمة على قوة شاعريته ، وأقروا له بالتفوق واعترفوا له بالبراعة والاسبقية ، وما عابه فيما نعلم عائب ، ولا استنقصه جاحد ، بل عده معاصريه فارس الحلبة ، وفحل الاولين ، قال ابن الخطيب : (كان طبقة الوقت وفحل الاوان فى المطول ، أقدر الناس على اجتلاب الغريب) وقال ابن خاتمة : (وكان رحمه الله من فحول الشعراء ، وأعلام البلغاء ، يصرف العويص ويرتكب مستصعبات القوافى ، ويطير فى القريض مطار ذوات القوادم الباسقة والخوافى) ، وقال عبد الرحمان بن خلدون : (كان لا يجارى فى البلاغة والشعر) ووصفه

أخوه أبو زكرياء (بالدباج الذى لا نظير له) وكان قاضى القضاة بمصر ، تقي الدين بن دقيق العيد يضع قصيدة من شعره فى خزانة تعلو مجلس مطالعته ، وكان يخرجها كثيراً ويطيل النظر فيها ، وتأمل معانيها ، حكى السلطان أبو عنان عن الامام الابلى التلمسانى : أن القصيدة لما وصلت إلى ابن دقيق العيد لم يقرأها حتى قام إجلالا لها (2)

ويمتاز شعر ابن خميس بظواهر كثيرة ، كالمتانة وغلبة الحزن عليه ، ولكنه يمتاز على الخصوص بظاهرتين اثنتين 1) الجانب القصصى ، 2) وغرابة الالفاظ .

أما عن القصة فهي كثيرة الورود فى شعر ابن خميس ، وهو يسوقها فى معرض الاستشهاد والاستدلال ، واذا ساقها فانه يسوقها بمنتهى اللباقة والكياسة حتى لايشعر قارىء شعره أنها حشو زائد ، بل يأنس بها على العكس ويعدها جزء متماً للموضوع ففى قصيدته التى مطلعها :

---

(2) انظر . ترجمة عبد المهين الحضرمى فى ماخر تاريخ ابن خلدون وكتاب بغية الرواد ج 1 ص 39 ونفح الطيب ج 3 ص 188 و 193

أنبت ولكن بعد طول عتاب * وبعد لجاج ضاع فيه شبابى
وعظ المغترين بزخرف الدنيا بقصة حرب البسوس وحرب الفجار، وفى قصيدته الخائية التى مطلعها .

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو * منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ

عرض لترهب النعمان بن امرء القيس بانى الخورنق والسدير وزهد أبى حاتم العزفى ، وهلم جراً .

وأما عن الغرابة فان ابن خميس كان بها مولعاً ، وأقدر الناس على اجتلابها ، والاغرب أن غرابة لفظه لا تخل بفصاحة شعره ، ومع أن بعض قصائده الشعرية لا يفهم دون الاستنجاد بالمعاجم اللغوية والمصادر التاريخية فانها مع ذلك منظومة فى سلك من السلاسة والعذوبة بحيث لا يكاد المرء يفرغ من تفهم شطر حتى تدفعه الرغبة فى المتعة باستجلاء الغريب الى تفهم الشطر الثانى وهكذا من بيت إلى بيت ، وقد دافع ابن خميس عن استعماله للغريب فى قصيدته التى مطلعها

العشى تعيسى والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ

بقوله :

ماذاق طعم بلاغة * من ليس للوحشى ماضغ

وما أحسن ماقاله الشريف السبتي (3) شارح مقصورة حازم القرطاجني لدى تعليقه على بيتي القصيدة المتقدمة:

(أنشدناه غير واحد من شيوخنا عنه، فأخذ في ذلك بالعكس من مآخذ الناس، وقد ارتكب في هذه القصيدة وفي غيرها من حوشي اللفظ كثيراً، وكان أقدر الناس على ذلك وأحسنهم إيراداً له، وهو من أبلغ خلق الله إذا تعارب فلو أن الشنفرى وثابت بن جابر وتأبط شراً، والسليك بن عمرو، وأشباههم من صعاليك العرب، ذهبوا إلى أن يصفوا حالهم في التلصص على أحياء العرب لما زادوا على قوله:

وجواب بدوا إذا استجوبوا * أجابوا عواء وأموا النباحا

وقد سمعت شيخنا الخطيب أبا عبد الله الصديني رحمه الله يقول غير مامرة: لو أخر الله النعمان بن المنذر، والحارث الجفني،

(3) محمد بن أحمد بن محمد الشريف الحسني القاسمي المدعو خطأ الشريف الغرناطي نسبة الى غير بلده، ولد بسبتة في سادس ربيع الاول عام 687، وقرأ بها على أبيه، وأبي عبد الله بن هانئ، وبه جل انتفاعه، وقدم على غرناطة في دولة الخامس من ملوك بني نصر فولاه الانشاء بابه، ثم قلده الكتابة والخطابة والقضاء، وجرت عليه محنة شهيرة، وكانت وفاته قاضياً بغرناطة في أوائل شعبان عام 760

حتى يدركهما أبو عبد الله بن خميس لم يستحي أن ينشدهما مع نابغة بني ذبيان !!) (4)

كتابة ابن خميس :

كل ما كنا نعرف عن ابن خميس الكاتب، أنه تولى أمانة السر بديوان الانشاء على عهد السلطان أبي سعيد الريانى، ولم تكن وقعت بين أيدينا رسالة واحدة من رسائله نستطيع بها أن نعرف مكانة الرجل الانشائية، وملكته الترسلية، ولهذا كتبت فى أصل هذا التقديم (غير أنا مع الاسف الشديد لا نستطيع أن نقول فى هذا الموضوع، لان الدهر لم يبق لنا من رسائله ولا واحدة نستطيع أن نطل بها أمراً، أو نستنتج منها شيئاً).

كان الامر كما ذكر حتى العشر الأواخر من شهر شعبان المنصرم، حيث استطعنا الحصول على رسالة أوردها أبو عبد الله ابن الخطيب لابن خميس خلال ترجمته بالاحاطة، عقب قصيدته التى مطلعها :

عجباً لها أيذوق طعم وصالها ؟ * من ليس يأمل أن يمر ببالها

فاذا هى رسالة من رسالات البلاغة، ودرة يتيمة فى عقد الفصاحة،

(4) انظر رفع الحجب المستورة ج 2 ص 181

أسلس فيها قياده البيان ، وجرى البديع فى سننها مرخى العنان ، وحكمت لمنشئها بالتفوق ولكفته بالرجحان ، فيها كل ما فى الادب الاندلسى — المغربى من خصائص ، ومن سجع فائق ، وتشبيه رائق ، إلى توريات لطيفة ، واستعارات طريفة ، ونكت ظريفة ، وفيها أيضاً ما فى شعره من ميزات وأهمها غرابة اللفظ ، وغلبة الحكاية ، ورسالته هذه تدل على مدى علمه بالعلوم الفلسفية والروحية وعظيم اطلاعه على أخبار العرب وتواريخ الأمم ، بحيث يمكن شرحها فى مجلد ضخم

شيخ الجماعة :

وتلك غريبة الغرائب فى ترجمة ابن خميس ، وقد انفرد بتحليته بها أحمد بن القاضى فى درة الحجال (5) ، ولم يحله بها أحد غيره ممن أشاروا إليه باقتضاب أو إطناب ، وشيخ الجماعة فى اصطلاح أهل المغرب ، تساوى قاضى القضاة فى اصطلاح أهل المشرق ولا يتحلى به إلا شيخ طاعن فى السن ضرب بسهم وافر فى الفقه والحديث وسائر علوم الدين ، بحيث يكون المرجع الذى تقطع عنده جهينة قول كل خطيب ويكون له القول الفصل فى الفتاوى

(5) درة الحجال ج 1 ص 163

والاحكام، وسائر المعضلات الدينية والقضائية، ولم يرد فيما بين أيدينا من النصوص ما يدل على أن الرجل كان فقيهاً مبرزاً مائلا إلى العلوم الدينية حتى يكون قاضياً فشيخ جماعة، بل القرائن في الغالب تنطق بأن الرجل كان أديباً بليغاً مائلا إلى العزلة والانفراد والابتعاد عن الناس، ووصف يحيى بن خلدون له بالفقيه (6) لا يعدو العادة المتبعة عند المترجمين من تحلية كل من يحسن القراءة والكتابة بالفقيه، وإننا سنبقى معتقدين - إلى أن يظهر ما يجلي الغياهب عن حياة الشاعر — أن هذه التحلية من زيادات ابن القاضي، أو من تبرعات النساخ.

علمه واطلاعه :

وكان لابن خميس إلمام كبير بعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وفقه لغة واشتقاق، كما كان يلم بالطب والعلوم النظرية كالمنطق والأصول والجدل والفلسفة الصوفية، وله فوق ذلك اطلاع واسع على أيام العرب ورجالها، وأنباء الامم وأحوالها وخبرة كبرى بالنحل وتفاريقها، والشيع ومعتقداتها، وشعره ونثره مرآة صادقة لمعارفه هذه، ومتأثران بها إلى حد كبير.

(6) بغية الرواد ج 1 ص 37

وكان ابن خميس راوية متأخراً من رواة الادب العربى ، وحافظاً ثقة من حفاظه، جاء يكمل فى القرن السابع ما أغفل الرواة ذكره فى القرون الاولى، وقد أنشد العبدرى صاحب الرحلة كثيراً من الاشعار ، ومنها قصيدة رائية أنشده إياها من حفظه، ولم يقف عليها العبدرى تامة ، كما لم يذكر منها أبو علي القالى فى النوادر الا أربعة أبيات، وكذلك أبو عبيد البكري فى كتاب التدريب ، وفى ذلك برهان على سعة حفظ الرجل وسمو مكانته الأدبية .

شيء من أحواله:

وكان ابن خميس شيخاً وقوراً ، عالي الهمة ، سامي النفس ، زاهداً بعيداً عن الرياء والنفاق ، نظيف الثوب ، طيب المعشر ، متحلياً بالصمت ، وكان (متصوفاً عارفاً متطوراً) وله فى الاغراض الصوفية قصائد طنانة ، ذات معانى عميقة ، ومقاصد عويصة ، ومن هنا نسبوه إلى علم السيميا . وأخذ قصار النظر وضعفاء الدين يتلون حوله العزائم ويحرقون البخور بمثل الحكاية المضحكة التى ساقها يحيى بن خلدون فى بغية الرواد (7) .

(7) بغية الرواد ج 1 ص 39

وكان كثير الاسفار دائم السياحة فى الاقطار ، ونجده يقول عن نفسه (أنا كالدم أتحرك كل ربيع) ويصف نفسه فى شعره بأنه (عريض مجال الهم حاس ركاب) ولكننا لا نعلم عن وجهات سفره شيئاً .

وكان فقيراً بئيساً وهو يعزو فقره إلى علمه لأن المال والعلم لا يجتمعان :

يأبى ثراء المال علمى وهل * يجتمع الضدان : علم ومال

وكان خفيف الروح طيب القلب سريع الخاطر ظريف الدعابة حلو الفكاهة ، لا تفوته النكتة على عادة كبار الادباء ، وكان صنع اليدين ، حكى ابن خاتمة أن ابن خميس صنع قدحاً من الشمع على أبدع مايكون فى شكله ، ولطافة جوهره ، واتقان صنعه وكتب بدائرة شفته :

وما كنت إلا زهرة فى حديقة * تبسم عنى ضاحكات الكمائم
تنقلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

وأهداه خدمة للوزير أبى عبد الله بن الحكيم .

وحكى أبو البركات بن الحاج قال : أنشدنا أبو عبد الله بن خميس وحكى لى قال : لما وقفت على الجزء الذى ألفه ابن سبعين

وسماه بالفقيريه ، كتبت على ظهره :

الفقر عندى لفظ دق معناه * من رامه من ذوى الغايات عماه
كم من غبي بعيد عن تصوره * أراد فهم معماه فعماه

وأنشد أبو عبد الله بن ليون غير ما مرة ، وقال : سمعت أبا عبد الله بن خميس ينشد (وكان يحسب أنهما له ويقال إنهما لابن الرومى) :

رب قوم فى منازلهم * عرر صاروا بها غررا
ستر الاحسان ما بهم * سترى لو زال ما ستترا

ومن فوائد ابن خميس ماحكاه العبدرى فى رحلته قال (و فى أول ما اجتمعت به رأى فى يدي كتاباً فسألنى عنه ، فقلت هو كتاب الشمائل ، فاستظرف فعلى فى إمساكه ، وقال أخبرنى الفقيه أبو عبد الله بن حمدون قال أخبرنى الفقيه أبو زيد بن القاضى بتونس أن أبا محمد بن حوط الله ورد على أبيه فأنزله بداره ، وكان يبيت فى سريره ومعه خريطة لايفارقها ، وكانت تفوح منها رائحة المسك قال ، وكنت أستحيى أن أساله عما فيها فرقد ذات يوم فسقطت عن السرير فوقع منها كتاب شمائل النبى صلى الله عليه وسلم).

الدر النفيس :

ولابن خميس ديوان شعرى حافل جمعه القاضى أبو عبد الله بن إبراهيم الحضرمى فى جزء أسماه الدر النفيس فى شعر ابن خميس وعرف به فى صدره (8) وهذا الديوان غير معروف اليوم كما لا يعرف جامعه القاضى الحضرمى نفسه فاننا لم نهتد إليه بعد طول البحث فى كتب التراجم كما لم يتوفق الشيخ عبد الحى الكانى فى فهرس الفهارس والاثبات إلى معرفته (9) وفى خزانته الواسعة من المصادر العديدة المختلفة ما لا يصح أن يجهل فيها لو كان ويرجح عندى أن يكون جامع الديوان هو رئيس الكتاب عبد المهين الحضرمى فقد كان صديقاً حميماً لابن خميس وراوية من رواة قريضه كما صرح بذلك ابن القاضى فى درة الحجال (10) .

سكمر ورجاء :

ولا يفوتنى قبل ختام هذا التقديم أن أنوه بالعمل الذى

(8) درة الحجال ج 1 ص 164

(9) فهرس الفهارس والاثبات ج 1 ص 234

(10) انظر ترجمة المهيمن الحضرمى فى الجزء الثانى من درة الحجال

قام به أعضاؤنا العاملون بالمجلس البلدي التلمسانى فقد كنت اقترحت عليهم فى شهر ربيع الاول من هذه السنة أن يطلقوا اسم ابن خميس على أحد شوارع تلمسان الرئيسية و هو شارع الكردينال كسيمينيس السفاح الاسبانى المشهور ، ذباح المسلمين وحراق التراث العربى بالاندلس وبلاد المغرب ، ففعلوا وأطلق اسم شاعرنا على الطريق رسمياً ، وكتب بأحرف عربية ولا تينية فى إطارات مربعة فى كل زاوية تتفرع منها عن الشارع طريق ثانوية ، فأعضاء المجلس البلدي يشكرون على هذا الصنيع جداً ، ورجاؤنا ان يقتدي بهم إخوانهم أعضاء المجالس البلدية فى سائر جهات القطر الجزائرى فيطلقون على الشوارع المستحدثه التى ليس لها اسم تاريخى أسماء عظماء المسلمين ولا سيما الجزائريين .

وبعد !

وبعد ! فها إنى قد قمت بواجب — لاأمتن به — نحو وطنى الكريم ، وما وطنى الا بلاد المغرب العظيمة أو شمال إفريقيا العزيز ، أعلق بلاد الله بقلبى ، وأحبها الى نفسى ، والتى يرخص كل غال فى سبيل تحريرها ، ويستسهل كل صعب

من أجل ترقيتها ، وتبذل المهج والارواح — عن سخاء — لابلاغها الى مقاصدها العادلة .

فان أنا وفقت فيما قصدت فذلك ما بغيت ، وان أنا أخطأت فيما رميت فلى من حسن النية وعزة المصدر وحرج الوقت مايشفع لى عند القراء الذين ءامل ان لاأعدم من بينهم ناقداً ، والله يوفق لما فيه الرضا والصـــواب .

مصادر البحث

مرتبة على الحروف الهجائية

الاحاطة فى أخبار غرناطة	محمد بن الخطيب السلمانى (روايـة المقرى فى نفح الطيب وأزهار الرياض)
أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض	أحمد المقرى القرشى
أنواء نيسان فى أنباء تلمسان	عبد الوهاب بن منصور الحسنى
بغية الرواد، فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد	يحيى بن خلدون الحضرمى
البستان فى ذكر العلماء والأولياء بتلمسان	محمد بن أبي مريم المليتى
درة الحجال فى غرة أسماء الرجال	أحمد بن القاضى المكناسى
الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب	إبراهيم بن فرحون اليعمرى
ديوان العبر وكتاب المبتدإ والخبر	عبد الرحمان بن خلدون الحضرمى
الرحلة العبدرية	محمد العبدري الحاحى

رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة	محمد بن أحمد الشريف الحسنى
مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية	أحمد بن خاتمة الانصارى (رواية المقرى فى نفح الطيب وازهار الرياض)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب	أحمد المقرى القرشى
نيل الابتهاج بتطريز الديباج	أحمد بابا التنبكتى السودانى
عائد الصلة	محمد بن الخطيب السلمانى (رواية المقرى فى نفح الطيب وأزهار الرياض)
فهرس الفهارس والاثبات	عبد الحي الكتانى الحسني

المنتخب النفيس

من شعر

ابن خميس

حنين الى تلمسان

قال وهو بالاندلس يتشوق إلى تلمسان ، ويمدح الوزير أبا عبد الله بن الحكيم ، وكان نظمه لها فى شهر شعبان عام 706

1 سل الريح إن لم تسعد السفن أنواء
فعند صباها من تلمسان أنباء (1)
وفى خفقان البرق منها إشارة * اليك بما تنمى اليك وإيماء
تمر الليالى ليلة بعد ليلة * وللاذن إصغاء وللعين إكلاء (2)
وإنى لاصبو للصبا كلما سرت * وللنجم مهما كان للنجم إصباء (3)
5 وأهدى إليها كل يوم تحية * وفى رد إهداء التحية إهداء
واستجلب النوم الغرار ومضجعي * قتاد كما شاءت نواها وسلاء (4)
لعل خيالا من لدنها يمر بي * فيمرعى من جوى الشوق ارعاء

---

(1) الانواء : ج نوء : النجم المائل للغروب ، والصبا ريح تهب من الشرق

(2) الاكلاء : ترديد البصر فى شيء مصوباً ومصعداً .

(3) صبا الى الشيء حن اليه ، والاصباء : الاستهواء .

(4) الغرار : القليل من نوم وسواه ، والقتاد شجر صلب له شوك كالابر والسلاء بالضم جمع سلاءة : شوك النخل

وكيف خلوص الطيف منها؟ ودونها * عيون لها في كل طالعة راء (1)
وإني لمشتاق إليها ومنبـــيء * ببعض اشتياقي لو تمكن إنباء
وكم قائل تفنى غراماً بحبها * وقد أخلقت منها ملاء وأملاء (2)
لعشرة أعـــوام عليها تجرمت * إذا ما مضى قيظ بها جاء إهراء (3)
يطنب فيها عائثون وخرب * ويرحل عنها قاطنون وأحياء
كأن رماح الناهبين لملكها * قداح وأموال المنازل أبداء (4)
فلا تبغين فيها مناخاً لراكب * فقد قلصت منها ظلال وأفياء (5)
ومن عجب أن طال سقمي ونزعها * وقسم إضناء علينا وإعناء (6)

(1) لعله يريد هنا بالراء الرقيب مشيراً اليه بالحرف الاول منه
(2) الملاء بالضم ج ملاءة : ثياب تلبس على الفخذين ، والاملاء ج ملأ : شراف القوم الذين يملأون العين أبهة .
(3) يشير بالاعوام العشرة الى مدة الحصار الذي ضربه الرينيون على ثامسان وتجرم العام : انقضى ، والقيظ : شدة الحر ، والاهراء : شدة البرد .
(4) الابداح ج قدح بالكسر سهم الميسر ، ولعل المراد بالابداء ما يربحه لاعبو الميسر .
(5) الافياء ج فيء : الظل
(6) النزع : حالة المريض المشرف على الموت . والاضناء ثقل المرض والاعناء ج طي المرض

وكم أرجفوا غيظاً بها ثم أرجأوا * فيكذب ارجاف ويصدق ارجاء(1)
يرددها عياً بها الدهر مثلما * يردد حرف الفاء فى النطق فأفاء
فيامنزلا نال الردى منه ماانتهى * ترى هل لعمر الانس بعدك انساء(2)
وهل المظى الحرب التى فيك تلتظى * إذا ماانقضت أيام بؤسك إطفاء؟
20 وهل لى زمان أرتجى فيه عودة * إليك ووجه البشر أزهر وضاء
فواحربا لى إن هلكت ولم أقل * لصبحى به الغر الكرام الا هاؤ!(3)
ولم أطرق الدير الذى كنت طارقاً * بليل وبدر الافق أسلغ مسناء(4)
أطيف به حتى تهر كلابه * وقد نام عساس وهوم سباء(5)
ولا صاحب إلا حسام ولهذم * وطرف لحد الليل مذكان وطاء(6)

(1) الارجاف: الاخبار السيئة التى يراد بها تهييج الناس والارجا التاخير
(2) الانسا الحمل على النسيان
3 الحرب بفتحتين: الهلاك والويل، ها وا: خذوا، وهذا البيت والتسعة التى بعده ساقطة من جميع النسخ، الا من الاحاط
(4) الاسلغ: شديد الحمرة، والمسنا: كثير الضو
(5) هر الكلب: صات دون نباح من قلة صبره على البرد، والعساس الحارس، ويطلق فى بلاد المغرب على حارس الليل، والسبا، يريد به البئيس الذي ينام فى الطريق، مشتق من السبا وهو الطريق
(6) اللهذم: الحاد القاطع من كل شئ

وأسحم قاري كشعري حلكم * تلالا فيه من سنا الصبح أضواء(1)
فما الشرابي في سواك مزازة * ولا لطعامي دون بابك إمراء(2)
وبادارى الاولى بدرب حلاوة * وقد جد عيث في بلاها وإرداء(3)
أما آن أن يعمى حماك كعهده * وتجتاز أصحاب عليه أحماء(4)
أما آن أن يعشو لنارك طارق * جنيب له رفع إليك ودأداء(5)
يرجى نوالا أو يؤمل دعوة * فما زال قار في ذراك وقراء
أحن لها ما أطت السنيب جولها * وما عاقها عن مورد الماء إظماء(6)
فما فاتها مني نزاع على النوى * ولا فاتني منها على القرب اجشاء
كذلك جدي في صحابي وأسرتي * ومن لي به في أهل ودي إن فاءوا
ولولا جوار ابن الحكيم محمد * لما فات نفسي من بني الدهر إقماء

(1) الاسحم الاسود ، والقارى نسبة الى القار وهو ايضا اسود والحلكم شديد السواد ، يريد به الليل

(2) المزازة : لذاذة الطعم والامراء طيبه

(3) درب حلاوة : درب شهير بتلمسان يعرف بهذا الاسم حتى الان

(4) الاحماء : ج حميم . المخلص في صداقته

(5) الرفع والدأداء : سرعة السير

(6) آط . حن . والسنيب . ج ناب . الناقة المسنة

35 حمانى فلم تنتب محلى نوائب * بسوء ولم ترزأ فؤادي أرزاء
وأكفاء بيتى فى كفالة جاهه * فصاروا عبيداً لى وهم لى أكفاء
يؤمون قصدى طاعة ومحبة * فما عفته عافوا وما شئته شاءوا
دعانى إلى المجد الذى كنت أهلا * فلم يك لى عن دعوة المجد إبطاء
وبوأنى من هضبة المجد تلعة * يناجى السها منها صعود وطأطاء(1)
40 يشيعنى منها إذا سرت حافظ * ويكلانى فيها إذا نمت كلاء
ولا مثل نومى فى كفالة غيره * وللذئب إلمام وللصل إلماء (2)
بغيضة ليث أو بمرقب خالب * تبز كسى فيه وتقطع أكساء (3)
إذا كان لى من نائب الملك كافل * فتى حيثما هومت كن وإدفاء
وإخوان صدق من صنائع جاهه * يبادرنى منهم قيام وإيكاء
45 سراع لما يرجى من الخير عندهم * ومن كل ما يخشى من الشر أبراء

❀

إليك أبا عبد الاله صنعتها * لزومية فيها لسري إفشاء

(1) الصعود المرتفع والطاطا عكسه
(2) الصل بالكسر الحية ، والالما الذهاب بالمشي خفية
(3) الخالب : الجارح من الحيوان ، والبز السلب

مبرأة مما يعيب لزومهـــا * إذا عاب إكفاء سواها وإيطاء(1)
أذعت بها السر الذى كان قبلها * عليه لاحناء الجوانح إضناء
وان لم يكن كل الذى كنت آملا * وأعوز إكماء فما عاز إكلاء
ومن يتكلف مفحماً شكر منة * فما لى إلى ذاك التكلف إلجاء
إذا منشد لم يكن عنك ومنشى * فلا كان إنشاد ولا كان إنشاء

(1) الايطاء : هو تكرير كلمة الروي لفظاً ومعنى ، والاكفاء : اختلاف الروي بحروف متقاربة المخارج . وكلاهما من عيوب القافية

نصيحة مشفق

أنبت ولكن بعد طول عتاب * وبعد لجاج ضاع فيه شبابى
وما زلت والعليا تعنى غريمها * أعلل نفسى دائماً بمتاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه * يلذ طعامى أو يسوغ شرابى
55 خدعت بهذا العيش قبل بلائه * كما يخدع الصادى بلمع سراب
تقول هو الشهد المشور جهالة * وما هو إلا السم شيب بصاب
وما صحب الدنيا كبكر وتغلب * ولا ككليب رى فحل ضراب (1)
إذا كمت الأبطال عنه تقدموا * أعاريب غر فى متون عراب (2)
وان ناب خطب أو تفاقم معضل * تلقاه منهم كل أصيد ناب (3)

---

(1) بكر وتغلب . قبيلتان عربيتان من ربيعة ، بينهما كانت حرب البسوس الشهيرة ، وكليب : هو وائل بن ربيعة ، ألصق به اسم جروه الذى كان اذا نزل منزلا به كلا قذف به ، فلا يرعى أحد ذلك الكلا الا باذنه ، وبه يضرب المثل فى العزة ، فيقال : أعز من كليب وائل

(2) كمت : ضعف وجبن ، الخيل العراب هي الكريمة السالمة من الهجنة

(3) الاصيد : من يرفع رأسه متكبراً ، والذى المتجافى فى نظره عن القوم

60 تراءت لجساس مخيلة فرصة * تأتت له فى جيئة وذهاب (1)
فجاء بها شوهاء تنذر قومها * بتشييد أرجام وهدم قباب
وكان رغاء الصقب فى قوم صالح * حديثاً فأنساه رغاء سراب (2)
فما تسمع الاذان فى عرصتهم * سوى نوح ثكلى أو نعيب غراب
وسل عروة الرحال عن صدق بأسه

وعن بيته فى جعفر بن كلاب (3)
وكانت على الاملاك منه وفادة * إذا آب منها آب خير مآب
يجيز على الحيين قيس وخندف * بفضل يسار أو بفضل خطاب
زعامة مرجو النوال مؤمل * وعزمة مسموع الدعاء فجاب
فمر بزجيها حوا سر ضلعا * بما حملوها من منى ورغاب
إلى فدك والموت اقرب غاية * وهذا المنى ياتي بكل عجاب

(1) جساس : عمرو بن مرة بن ذهل بن شيبان ، ابن عم وقاتله وصهره فى أخته الجليلة بنت مرة

(2) سراب : ناقة البسوس خالة جساس ، وهي الناقة التى رماها كليب فقتله جساس من أجلها

(3) عروة بن عتبة الرحال القيسى ، كبير قبيلة يس ، ونديم النعمان ابن المنذر ، وهو الذى تحدى البراض فى اجازة تجارة النعمان وايصالها الى سوق عكاظ

70 تبرض صفو العيش لما استشفه * وداف له البراض قشف حباب (1)
فأصبح فى تلك المعاطف نهزة * لنهب ضباع أو لنهش ذئاب
وما سمه عند النضال بأهزع * ولا سيفه عند الصراع بناب
ولكنها الدنيا تكر على الفتى * وإن كان منها فى أعز نصاب
وعادتها أن لا توسط عندها * فاما ماسماء أو تخوم تراب
75 فلا ترج من دنياك وداً وان يكن * فما هو الا مثل ظل سحاب
وما الحزم كل الحزم الا اجتنابها * فأشقى الورى من تصطفى وتحابى
أبيت لها مادام شخصى أن ترى * تمر ببالى أو تطور جنابى
فكم عطلت من أربع وملاعب * وكم فرقت من إخوة وصحاب
وكم عفرت من حاسر ومدجج * وكم أثكلت من معصر وكعاب
80 مثالب مثل الرمل لا تقل إنها * تعد فتحويها ضروب حساب

❀

إليكم بنى الدنيا نصيحة مشفق * عليكم بصير بالامور نقاب

(1) البراض بن قيس الكنانى ، كان خليعاً فاتكا ، خلعه قومه كنانة لكثرة فجوره وشروره ، وهو الذي طلب أولا اجازة تجارة النعمان ، فحاده عروة الرحال ، فقتله البراض غدرا وحدثت حرب البحار التي شهدها الرسول عليه السلام

طويل مراس الدهر جذل مماحك * عريض مجال الهم حلس ركاب.
تأتت له الاهوال أدهم سابقاً * وغصت به الايام أشهب كاب
ولا تحسبوا أنى على الدهر عاتب * فأعظم مابى منه أيسر مابى
85 وما أسفى إلا شباب خلعته * وشيب أبي الانصول خضاب
وعمر مضى لم أخل منه بطائل * سوى ماخلا من لوعة وتصابي
ليالي شيطانى على الغي قادر * وأعذب شيىء محنتى وعذابى
عكسنا قضايانا على حكم عادنا * وما عكسها عند النهى بصواب
على المصطفى المختار منى تحية * فتلك التى أعتد يوم حساب
90فتلك عتادى أو ثناء أصوغه * كدر سحاب او كدر سخاب

بابن الحكيم أمنت صرف ردى

ومن شعره يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم ، ويذكر غفارة وجهها له مع هدية :

كبت العدا إنعامك البغت * فلي الهناء وللعدا الكبت (1)
يامن إلى جدوى أنامله * يرجى السفين وتزجر البخت (2)
لولاك لم يوصل بنا حيـــة * وخد ولم يقطع بها دشت (3)
لولاك لم يطلع بها نشـــز * منه ولم يهبط بها خبت (4)
خولتني مالم تسعه يدى * وأصابني من كثره غمت (5)
شتى أياد كلمـــا عظمت * عندى تلكأ خاطرى الهت (6)
يعيـــى لسانى أنها عظمت * ويضيق عن شكرى لها الوقت

(1) لعله يريد بالبغت ماأتى على بغتة
(2) البخت الابل الخراسانية
(3) الوخد : السرعة ، والدشت : الصحراء
(4) النشز : المكان المرتفع والخبت: ما كمن واتسع من الارض
(5) الغمت : ثقل الطعام على القلب حتى يصير به الانسان كالسكران
(6) الهت : سرد الكلام واجادة سياقه

وطأت لى الدنيا فلا عوج * فيما أرى منها ولا أمت (1)
أمكنتنى منها فما ليدى * ردء ولا لمقالتى عت (2)
بالغت فى برى ولا نسب * أدلى إليك بـــه ولا مت
لكن حسبى - إن مننت بـه * يوما إليك — ودادي البحت
بوركت من رجل برؤيتـه * يؤسى الضنـــا ويعالج الغت
عندى لمن يتنا بـه مقة * ولمن ينيب لغيره المقت
لـــو سار فى بهماء مقفرة * من حيث لاماء ولا نبت
لتفجر الماء النمير بها * ولاعشبت أرجاؤها المرت (3)
لاتحسبن البخت نيل غنى * نيل الرضا منه هو البخت
آلت جلالتـه وحق لهـــا * أن لايحيط بكنهها نعت
أظهرت دين الله فى زمن * مازال يغلب حقه البهت
شيدتـه وهـددت ممتعضاً * لضياعـه ماشيد الجبت (4)
أمنت أرض المسلمين فلا * ذئب يخاف بها ولا لصت

(1) الامت : المكان المرتفع
(2) العت : الغلظ فى الكلام وغيره
(3) المرت : مالا نبات له
(4) الامتعاض : الغضب ، والجبت : الصنم والساحر

وحفظتها من كل نائبة * تخشى فأنت حفيظها الثبت
ونهجت سبل المكرمات فما * لمؤمل عن غايه ألت (1)
لم تبق غفلا من متالعها * إلا وفيه لحائر برت (2)
هادن طغاة الكفر ما هدأت * حتى يجيء نهارها المحت (3)
115 دعها تودع فى معاقلها * ما لم تعد جفاتها العنت (4)
كم دذتها عنا وقد هبرت * لهراشنا أشذاقها الهرت (5)
بوقوف طرفك عند شدته * يبأى ويفخر ملكها الرت (6)
وبشكر ما أظهرت من كرم * فى ذاك تفصح عجمها الرت (7)
لكن ممالكها وان رغمت * ما جال فيه جوادك الحت (8)

(1) الالت : النقص
2) البرت : الدليل الماهر
(3) المحت : الشديد
(4) العنت : الاثم والفجور ، ولقاء الشدة
(5) الدوذ : الدفع ، والهبر : قطع اللحم ، والهرت : اتساع الشدقين
6) باى : فخر ، والرت : الشديد ، رئيس القوم ومقدامهم
(7) الرتة : العجمة في الكلام
(8) الحت : السريع

120 ولكل أصيد من بطارقها * فى كل (ناحية) له دعت (1)
لولا لباك البيض ما أرقت * للقائها أفراسنا الكمت
ولو أن بيضك لم تسل لما * ذلت أنوف طغاتها السلت (2)
يابن الحكيم أمنت صرف ردى * أبداً له فى أثلتى نحت (3)
وبيمنه أنست من أملى * مالم يكن يوماً له عرت (4)
125 مثنى الوزارة موئلى وله * ما دمت أملك قدرتى أقتو (5)
وبأسه أطفى شرارة من * يعشو وأقدح أنف من يعتو (6)
عم الورى جوداً وفضل غنى * حتى تساوى العد والفلت (7)
وهمى على عال ومنخفض * لم يبق فوق لا ، ولا تحت

(1) الاصيد : المرتفع والمتكبر ، البطريق : القائد من قواد الروم ، والدعت : الدفع الشديد
(2) الاسلت : المجدوع الانف
(3) الاثلة : الاصل
(4) الغلظ؟
(5) قتا الملوك : أحسن الخدمة لهم
(6) عثا : بالغ فى الفساد أو الكفر . وعتا : تكبر وجاوز الحد
(7) الفلت كالغلط . وهو فى الحساب أخص

ظل إذا نصطاف معتدل * عطر الشذا وحيا إذا نشتو (1)
يتضاءل الصبح المنير إذا * لاقى سناه جبينك الصلت (2)
حتى كأن شمس الضحى قمر * وكأن ضوء شعاعها فخت (3)

❀

وغريبة فى لطف صنعتها * يمضى الزمان وما لها أخت
ينأي الندي بها إذا لبست * ويتيه إن طويت يا التخت
زنجية لكن لمحتدها * فى الروم يعنو القس والشنت(4)
مثل العروس على منصتها * من شأنها التزيين والزت (5)
لاكون أنحل ماأكون هدى * فيها فيعبل جسمى الشخت (6)
ومثل شيبى فوق حاكتها * يبدو الوقار ويحفظ السمت
أثريتى (بقبولها) وبـــه * عندى لها الايثار ما عشت

(1) الشذا : قوة ذكاء الرائحة والحيا : المطر
(2) الصلت : الجبين الواضح المستوى
(3) الفخت : ضوء القمر أوظله
(4) الشنت : القديس محرف Santo بلهجة الاندلس
(5) الزت و تزتيت : التزيين
(6) عبل : ضخم ، والشخت : الضامر من غير هزال

لازلت تؤثرنى بها أبداً * ولا نف من يشجى بذا السلت(1)

وبقيت تدرك ماتريد وما * تهوى بقاء ماله فت(2)

(1) الشجى : الحزن ، والسلت : الجدع

(2) الضعف وانكسار القوة

اخترت قرب جواره

ومن شعره أيضاً فى المدح قوله رحمه الله من قصيدة ثبتت فى ديوان مجموع أمداحه :

طرقتك وهناً أخت آل علاج * والركب بين دكادك وحراج(1)
فى ليلة ليلاء لم ينبح بها * كلب ولم يصرخ أذين دجاج
أنى أهتدت لمضللين توهنوا * منها لهتك دياجر وديـــاج
متسربلى برد الظلام كأنهم * فيه قداح فى رماية ساج
45 وثقوا بمحمود السرى وتسلحوا * لمخارم مجهلة وفجـــاج (2)
ومنازل درس الرسوم بلاقع * أخوين من هيج ومن هجهاج (3)
محت معالمهن غير مثـــلم * كسوار تاج أو كـ ملج عاج
وموائل مثل الحمام جواثم * ورق وأسجح دائم الشحاج (4)

(1) الدكادك : أرض فيها غلظ ، والحراج : الامكنة الضيقة
(2) المخارم : ج مخرم . مقطع أنف الجبل ، والفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال
(3) اخوى المكان : تهدم وفرغ ، والهيج : الحرب والهجهاج : شديد الريح
(4) الاسجح . الاسجع ، الحسن المعتدل ، والشحاج : التصويت

ومشجج ما زال منهل الحيا * يبكي صداه بدمعه الثجاج (1)
حتى أعاد لعوده أوراقه * خضر الظلال ذكية الأرواح
وكساه راة عراصه من وشيه * حللا تبور صنعة الديباج
لا مثل ليلات مضين سريعة * بردت حرارة قلبي المهتاج (2)
أدركت منها في صباي مطالبي * وقضيت منها في شبابي حاجي
كم ليلة مرت ولم يشعر بها * غيري وغير منادمي وسراجي
بتناذير إلى انبلاج صباحها * كأس الهوى صرفاً بغير مزاج
وتدير أعيننا حديث غرامنا * بمزامر من (فضة) وأحاج
بمؤرج النفحات من دارين أو * بمدارج النسمات من دراج (3)
وخلوص ود في نقاء سريرة * كسلاف راح في صفاء زجاج
أمحضته حظي من الزمن الذي * أعيى مراسي أهله وعلاجي (4)

(1) الثجاج : كثير السيلان

(2) في الاصل (بنعب سويقة) ، ولنلاحظ ان ما بين ايدينا من شعره كثير التحريف حتى يستعصى علينا اصلاحه في بعض الاحيان فنتركه كما وجدناه بدون تعليق

(3) دارين اسم قرضة بالبحرين ينسب اليها المسك ، فقيل مسك دارى ودراج . مكان بين ذات عرق وعرفات

165 واخترت قرب جواره لخلوصه * وتركت كل مماذق مراج (1)
ما في زمانك غيره فاخلص له * غيباً وداهن من أردت وداج
لاتحفلن بغيره واستغفين * بوقاره من كل غمر ماج (2)
اترك بنى الدنيا واعرض عنهم * فمساك تطعم لذة الاثلاج (3)
نزهت نفسى عنهم بموالـــه * وحفظتها من جاهه بسياج
170 اصبحت من ءالائه وولائه * فى عزة ضحيا وعز داج
ولو أننى عجت الركاب ميمماً * أحداً سواه ما حمدت معاجى
طلق إذا احتلك الزمان أنار فى * ظلمائه كالكوكب الوهاج
طود الرصانة والرزانة والحجا * بحر الندى المتلاطم الامواج
وغمامـــه الهامى على ءامالـه * من غير إرعاد ولا إرعاج (4)
175 وهزبر ءاجام القنى الضارى إذا * سقطت عواتمها على الازجاج

(1) لعل قبل هذا البيت حذف بعض الابيات ، لعدم إرتباط هذا البيت بما قبله ، والماذق : الذى لايخلص في صداقته ، والمراج من يزيد فى الحديث ويكذب

(2) الماج

(3) الاثلاج : الطاعنة

(4) الارعاج : تتابع لمعان البرق

ضمن الاله له على أعدائه * ماشاء من ظفر ومن إفلاج (1)
أبقى أبو عبد الاله محمـــد * ماشاد والده أبو الحجاج (2)
وبنى أبو إسحاق قبل وصنوه * ركنا الضعيف ومؤلا المحتاج (3)
وجرى على آثار أسلاف لهم * درجوا وكلهم على منهاج
180 ما منهم إلا أغر مبارك * مصباح ليل أو صباح عجاج
بيت بنوه من سراوة حمير * في الذروة العلياء من صنهاج
كم كان في الماضين من أسلافهم * من رب إكليل وصاحب تاج
أساس كل رئاسه ورؤس كـ * ـل سياسة وليوث كل هياج
أعيت نجوم الليل من سهر وما * أعيى أبو موسى من الادلاج (4)

(1) الافلاج : الغلبة والظهور

(2) هو أمير المسلمين محمد بن يوسف النصري مؤسس الدولة النصرية بالاندلس المعروف بالشيخ ، بويع سنة 629 وتوثق له الملك بعد حروب وتوفي عام 671 هـ وليس هو ممدوح الشاعر ، وانما ممدوحه حفيده السلطان محمد الثالث المعروف بالمخلوع ، المبايع سنة 701 والمعزول سنة 708 ولا شك أن اسمه مذكور في الابيات المحذوفة

(3) يريد بابي اسحاق الامير اسمعيل بن يوسف النصري توفي سنة 654

(4) لعل ابا موسى هذا عم يوسف النصري والد أبي عبد الله الاول

180 حتى أصارته لرحمة ربه * يوم العقاب وقيمة الاعلاج (1)
وأقيم نجل أخيه بعد مقامه * فيهم يطاعن مثله ويواجى
فرداً يلف كتائباً بكتائب * ويكب أفواجاً على أفواج
حتى تجلى دجن كل عجاجة * عنهم وأمسك رعد كل ضجاج (2)
من مثل يوسف فى نزال كتائب * ولقاء أعداء وخوض لجاج (3)
185 أو من يشق من الانام غباره * فى رد آراء ونقض حجاج؟
إن خاض يوماً فى بيان حقيقة * أربى على الثوري والحجاج (4)
وإذا تكلم فى الغريب وضبطه * لم يعبا بالعتبي والزجاج (5)

(1) يشير الى المعركة التى حصلت سنة 609 وانهزم فيها المسلمون امام جنود الاسبان. انظر ص 14 من هذا الكتاب، ويريد بالاعلاج النصارى.
( ) الدجن: الغيم والضجاج: المشارة والمشاغبة
( ) يوسف بن نصر الخزرجى، ابو الحجاج، والد السلطان محمد بن يوسف النصرى أول ملوك بني الاحمر
(4) سفيان الثوري المحدث المشهور توفى سنة 159، والحجاج بن عمرو بن غزية احد كبار التابعين واعيان علمائهم توفى سنة 106
(1) العتبى: ابو عبد الرحمان محمد بن عبد الله الاموى القرشي المعروف بالعتبى الشاعر البصرى، كان أديباً فاضلا مجيدا، وكان راوية

يست قصائد جرول أشعاره * وأراجز العجلى والعجاج (1)
جمع الفصاحة والصباحة والنقا * والجود فى وجد وفى إحراج
190 تخشاه أسد الغاب فى أجماتها * والروم فى الاسوار والابراج

❖

إنا بنى قحطان لم نخلق لغير * رعياث ملهوف ومنعة لاجى
نفرى طلا الاعراب فى الهيجا وفى * اللاواء.....والأعراج (2)
بسيوفنا البيض اليمانية التى * طبعت لحز غلاصم ووداج

لاخبار العرب وايامها توفى سنة 228 هـ . والزجاج : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد السرى بن سهل النحوي من علماء الدين والادب توفى سنة 310.

(1) جرول : لقب الحطيئة ، لقب به لدمامته ، وقصره ، وهو جرول بن اوس من بني قطيعة بن عبس ، ادرك الاسلام وأسلم ، و شتهر شعره بالهجاء ، توفى سنة 30 . والعجلى : لعله عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل احد المعدودين من الحمقى بين العرب ، والعجاج : هو رؤبة عبد الله بن العجاج البصرى التميمى ، الراجز المشهور توفى سنة 145

(2) الطلا : عنق ، واللاواء : الشدة ، وفى الاصل محو . والمعنى بين

تابى لنا الاحجام من إعدائنا * يوم اللقاء طهارة الامشاج
200 أنصار دين الهاشمى وجزه * وحماته فى الجحفل الرجراج (1)
وفداته بنفوسهم وتفيسهم * من غدر مغتال (وحدة) هاج
هم صفوة الخلق التى اختيرت له * وسواهم همج من الاهماج
إلا الاولى سبقوا بباهر فضلهم * من سائر الاصحاب والازواج
وكفى بحكمتنا إقامة حجـــة * وبركتنا من كعبة الحجاج (2)
205 ولنا مفاخر فى القديم شهيرة * كالصبح فى وضح وفى إبلاج
منا التبابعة الذين بيـــابهم * كانت تنيخ جباة كل خراج (3)
ولامرهم كانت تدين ممالك الـ * ـدنيا بلا جبر ولا إحراج
من يقتدح زبداً فان زنادهم * فى الجود وارية بلا إخراج
أبوا بهم مفتوحة لضيوفهم * أبداً بلا قفل ولا مزلاج

(1) يشير الى حماية الانصار لرسول الله ص يوم تفرق عنه المسلمون فى حنين

(2) يشير الى حديث : الايمان يمان ، والحكمة يمانية ، أما الركن فهو اليمني

(3) التبابعة : ج تبع : لقب ملوك اليمن ، بشرط ان يحكموا حمير وحضرموت

يطير فؤادى

وله بالاندلس يتشوق إلى تلمسان :

210 تلمسان جادتك السحاب الدوالح * وأرست بواديك الرياح اللواقح
وسح على ساحات باب جيادها * ملث يصافى تربها ويصافح (1)
يطير فؤادى كلما لاح لامع * وينهل دمعى كلما ناح صادح
فمى كل شفر من جفونى ماتح * وفى كل شطر من فؤادي قادح (2)
فما الماء إلا ماتسح مدامعى * وما النار إلا ما تجن الجوانح
215 خليلي لاطيف لعلوة طارق * بليل ولا وجه لصبحي لائح
نظرت فلا نور من الصبح ظاهر * لعينى ولا نجم إلى الغرب جانح
بحقكما كفا السلام وسامحا * فما الخل كل الخل إلا المسامح
ولا تعذلانى واعذرانى فقلما * يرد عنانى عن علية ناصح
كتمت هواها ثم بح بى الاسى * وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح؟

(1) باب الجياد شهير بتلمسان ، والملث : المطر يدوم أياما
(2) متح الماء : استقاه واستخرجه من البئر

215 لساقية الرومي عندى مزيه

وان رغمت تلك الروابى الرواشح (1)
فكم لى عليها من غدو وروحة * تساعدنى فيها المنى والمسائح
فطرفى على تلك البساتين سارح * وطرفى على تلك الميادين جامح(2)
تحاربها الاذهان وهي ثواقب * وتهفو بها الافكار وهي رواجح
ظباء مغانيها عواط عواطف * وطير مجانيها شواد صوادح
220 وتقتلهم فيها عيون نواظر * وتبكيهم منها عيون نواضح

❀

على قرية العباد منى تحيـــة * كما فاح من مسك اللطيمة فائح (3)
وجاد ثرى تاج المعارف ديمة * تغص بها تلك الربى والأباطح (4)
إليك شعيب بن الحسين قلوبنا * نوازع لكن الجسوم نوازح
سعيت فما قصرت عن نيل غاية * فسعيك مشكور وتجرك رابح

❀

(1) ساقية الرومي ، قناة ماء جميلة المنظر تعرف اليوم بساقية النصراني
(2) الطرف بالفتح : العين ، وبالكسر الكريم من الخيل
(3) العباد ربض تلمسان الجنوبي الشرقي، ومناظره من أبهج مناظر الشمال الافريقي ، واللطيمة : نافجة المسك ، وسوق العطارين
(4) يريد بتاج المعارف أبا مدين شعيب بن الحسين دفين العباد

225وإن أنس لاأنس الوريط ووقفة

أنافح فيها روضه وأناوح (1)

مطلا على ذاك الغدير وقد بدت * لانسان عينى من صفاه صفائح

أماؤك أم عينى ؟ عشية صدقت * علية فينا ما يقول المكاشح

لئن كنت ملآناً بد معي طافحاً * فانى سكران بحبك طافح

وإن كان مهرى فى تلاعك سانحا * فذاك غزالى فى عبابك سابح

230قراح غدا ينصب من فوق شاهق * بمثل جلاه تستحث القرائح

أرق من الشوق الذى أنا كاتم * وأصفى من الدمع الذى إنا سافح

❀

أما وهوى من لاأسميه إننى * لعرضى كما قال النصيح لناصح

أبعد صيامى واعتكافى وخلوتى؟ * يقال فلان ضيق الصدر بائح

لبعت رشادى فيه بالغي صلة * وكم صالح مثلى غدا وهو طالح

235وأي مقام ليس فيه حاسد؟ * وأي مقال ليس لى فيه قادح؟

ألاقل لقرسان البلاغة أسرجوا * فقد جاءكم منى المكافى المكافح !!

أيخمل ذكرى عندهم وهو نابه؟ * يغمط شجوى عندهم، هو شائح؟

بدور إذا جن الظلام كوامل * وأسد إذا لاح الصباح كوالح

(1) الوريط من متنزهات تلمسان الشهيرة به شلالات وبساتين

تركتك سوق البز لاعن تهاون * وكيف! وظبيى سانح فيك سارح (1)
245 وإنى وقلبىُ فى ولائك طامع * وناظر وهمى فى سماطك طامح
أيأهل ودى والمشير مؤمن * أتقضى ديونى أم غريمي فالح؟
وهل ذلك الظبى النصاحى للذى * يقطع من قلبى بعينيه ناصح؟
كنيت بها عنه حياء وحشمة * ووجه اعتذارى فى القضية واضح

(1) هو سوق القيسارية اليوم ، وربما كان الشاعر مستقرا باحد فنادقه كما يستشف من بعض النصوص

وبابن رشيد تعوذت

وله فى مدح الرحالة المغربي العظيم، والاديب الالمعي الكبير، أبى الله بن رشيد السبتى، ويذكر شيئاً من أحواله

أطار فؤادي برق ألاحا * فما (هنز) بعد لو كر جناحا
كأن تألقه فى الدجا * حسام جبان يهاب الكفاحا
أضاء وللعين إغفاءة * تلذ إذا ماسنا الفجر لاحا
كمعنى خفي بدا بعضه * وزيد بياناً فزيد اتضاحا
كأن النجوم وقد غربت * نواهل ماء صدرن قماحا (1)
لواغب باتت تجد السرى * فأدركها الصبح روحى طلاحا (2)
وقد لبس الليل أسماله * فمحت عليه بلا وانصياحا (3)
وأيقظ روض الربا زهره * فحيا نسيم صباه الصباحا
كأن النهار وقد غالها * مبيت مال حواه اجتياحا
أتى تستفيض دموعى امتياحاً * ويلهب نار ضلوعى اقتراحا

(1) القامح : البعير الممتنع عن الشرب ، ج قمح
(2) طلح البعير : اعيى وتعب
(3) مح الثواب : بلي ، وانصاح : تشقق

فلم يلف دجن انتحابي شحيحاً * ولم يلق زند اشتياقي شحاحا(١)
ولولا توقد نار الحشا * لانفدت ماء جفوني امتياحا

❖

ومما يشرد عني الكرى * هديل حمام إذا نمت صاحا
ينوح علي وأبكي له * فأقطع ليلي بكا ونياحا
أعين أريحي أطالت الاسى * عليك وما زدت إلا انتزاحا
دعيني أرد ماء عيني فلم * أرد بعد مائك ماء قراحا
إحن إليك إذا سفت ريحاً * وأبكي عليك إذا ذقت راحا(٢)
وأفني التياحاً إليك وكم * أشحت بوجهي عنك انتشاحا(٣)
ولولا سخائم قوم أبوا * إبائي إليك ركبت الرياحا
أباحوا حمائي وكم مرة * حميت حمى عرضهم أن يباحا
ودافعت عنهم بشعري انتصاراً * فكان الجزاء جلائي المتاحا
أباعوا ودادي بخساً؟ فسل * أكان سماحهم بي رباحا؟

(١) الشحيح والشحاح : البخيل والحريص
(٢) ساف : اشتم
(٣) الالتياح : العطش ، وأشاح أعرض . والنشح : الشرب حتى الامتلاء أي أنه يموت الان شوقاً اليها بعد أن اعرض عنها متكرها

وأغروا بنفسي طلابهـــا * سراراً فجاءوا لقتلى ضراحا
وءالوا يميناً على أن مـا * توهمت لم يك إلا مزاحا!!
فشاورت نفسي فى ذا فمـا * رأت لى بغير الفلاة فلاحـا
فبت أناغى نجوم الدجـــا * نجاء فلم ألف إلا نجـاحـــا
أجوب الدياجير وحدى ولا * مؤانس إلا القطا والسراحا(1)
والا الثعالب تحتـ فـــى * يمينى فتملا سمعى صباحـا
إجوز الافا حيص فيحاً قفاراً * وأعرو الاداحي غبراً فساحا(2)
فأعيى شوارد هذى عـداء * وأعلو لواغي تلك صياحـــا
وجواب بدو إذا استنبحوا * أجابوا عواء وأموا الباحا(3)
يرون قتالي فى الحجر حلا * وإذهاب نفسي فيه مباحـا
قسدت سناهم فلم أخطهـم * أعاجم شوس العيون قباحـا
فـل كيف كان خلاصي من * إسارهم ؟ أسرى أم سراحا

(1) القطا : طيور فى حجم الحمام ، واحدتها قطاة ، والسراح : ج سرحان : الذئب والاسد

(2) الافاحيص : ج أفحوص ، الموضع الذي تبيض فيه القطاة ، والفيح الواسعة ، والاداحى : الاراضى المنبسطة

(3) انظر صفحة 49 من هذا الكتاب

ولا مثل بيت تيممتـــه * فلم ألف إلا الغنـا والسماحا
عيـاباً مـلاء ونيبـا سمـاناً * وغيداً حساناً وعوداً أقاحا (1)
280 وإلا أعاريب شم الانوف * كرام الجدود فصاحاً صباحا
وإلا يعافير سود العيون * يرين فساد المحب صلاحا (2)
يرددن فينا لحاظاً مراضاً * يمرضن منا القلوب الصحاحا
وتحت الوجاح طلا ربرب * لو أن التميان رفعن الوجاحا (3)
أراني محاسن منه فلم * أطق عن حماه بقلبي براحا
285 محيا وسيماً وفرعاً أثيثاً * وقداً قويماً وردفاً رداحا (4)
وأبدى لعينى بدائع لم * تدع لي عقلا بها حين راحا
إذا لم يرد غير سفك دمى * فحل وبل له ما استباحا (5)

(1) العياب ج عيبة : ماتجعل فيه الثياب كالصندوق ، والنيب : النوق والغيد ج غيداء : المرأة اللينة الاعطاف
(2) اليعفور : الغزال
(3) الوجاح : الستر ، والطلا : ولد الظبي والربرب : القطيع من بقر الوحش
(4) المحيا : الوجه ، والوسيم : الجميل والفرع : الشعر ، والاثيث : المتلف الكثير والردف : الكفل والعجز ، والرداح : الضخم
(1) البل : المباح يقال الامر حل وبل

وما زلت سمحاً بنفسي كذا * متى ما رأيت الوجوه الملاحا
وبابن رشيد تعوذت من * هواه فقد زدت فيه افتضاحا
وقد ضاق صدري عن كتمه * وأودعته جفن عيني فباحا
وبابن رشيد تعوذت من * خطوب أجلن علي القداحا
ألح الزمان بأحداثه * فألقيت طوعاً إليه السلاحا
أعاد شبابي مشيباً، كما * سمعت، وصير نسكي صلاحا
وفرق بيني وبين الاهيل * ولم ير في ذا عليه جناحا
أخي وسميي أصخ مسمعاً * لشجو حزين إليك استراحا
فقد جب ظهري على ضعفه * كداماً، وأدهى شواتي نطاحا
وطوح بي عن تلمسان ما * ظننت فراقي لها أن يتاحا
وأعجل سيري عنها، فلم * يدعني أودع تلك البطاحا
نأى بصديقك عن ربعه * فكان له النأي موتاً صراحا
وكان عزيزاً على قومه * إذا هاج خاضوا إليه الرماحا
فها هو إن قال لم يلتفت * إليه امتهاناً له واطراحا
عجبت لدهري هذا، وما * ألاقي مساء به وصباحا
لقد هد مني ركناً شديداً * وذلل مني حياء لقاحا
وقيت الردى من أخ مخلص * لو استطعت طرت إليه ارتياحا

305 وإني على فيح مابيننا * لأتبع ذاك الشذا حيث فاحا
أحن إليه حنين العجول * ونوح الحمام إذا هو ناحا
وأسأل عنه هبوب النسيم * وخفق الوميض إذا ما ألاحا
وإن شئت عرفان حالي وما * يعانيه جسمي ضنى أوضحا
فقلب يذوب إليك اشتياقا * وصدر يفاح إليك انشراحا
310 وغرس ، داد أصاب فضاء * نديا وصادف أرضا براحا
كراسخ مجد تأثلته * فلم تخش بعد عليه امتصاحا
وعلياء بوأتها ، لو بغى * سمواً إليها السماك لطاحا
مكارم جمعت أفذاذها * فكانت لعضب علاك وشاحا
ودرس علوم تهيم بها * عمرت الغدو بها والرواحا
315 نشأت عن الخير واعتدته * فلم تدر إلا التقى والصلاحا
رحلت لها أيما رحلة * كسحت المعارف فيها اكتساحا(1)
بهرت رجال الحديث اقتداء * وفقت رجال الكمال اقتراحا
فما إن جليس إذا قلت قال * أو أن خطيب إذا لجت لاحا
ولو لم تحج بها مكة * لحج الملائك عنك صراحا

(1) يشير الى الرحلة التي قام بها الامام محمد بن رشيد السبتي مع ابن الحكيم ، وجمع فيها رحلة ملء العيبة (ظ. ص34 من هذا الكتاب)

320 وما أنا بعد نهي النهى * فما زادنى الطبع إلا جماحا
أدير كؤوس هواي اغتباقا * وأشرب ماء دموعى اصطباحا
فبرد جواي برد جواب * توبخ فيه الوقاحا
وهن بنيات فكرى، وقد * أتينك فاخفض لهن الجناحا

معاهد انس عطلت

وله هذه القصيدة الغريبة فى رثاء تلمسان ، ومدح ءال العز فى أمراء سبتة عند مقدمه عليها :

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو

منى النفس ، لادار السلام ولا الكرخ (1)

وداري بها الاولى التي حيل دونها * مثار الاسى لو أمكن الحنق اللبخ(2)

وعهدي بها والعمر فى عنفوانه * وماء شبابي لاأجين ولامطخ(3)

قرارة تهيام ومغنى صبابة * ومعهد أنس لا يلذ به لطخ

إذا الدهر مثني العنان منهنه * ولا ردع بثني من عناني ولا ردخ(4)

ليالٍ لاأصغى إلى عذل عاذل * كأن وقوع العذل فى أذني صخ(5)

3:30 معاهد أنس عطلت فكأنها * ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ

وأربع ألاف عفا بعض ءايها * كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطخ

---

(1) دار السلام : بغداد ، والكرخ : ربضها الشرقى

(2) اللبخ : الضرب والشتم

(3) أجن الماء : تغير لونه وطعمه ، والمطخ الدنس

(4) الردخ : شدخ الرأس ، والمراد الزجر

(5) صخ الصوت الاذن : أصمها

فمن يك سكراناً من الوجد مرة * فاني ـ طول الدهر ـ منه لملتخ(1)
ومن يقتدح زنداً لموقد جذوة * فزندا شتياقي لا عفار ولا مرخ(2)
أأنسى وفوفى لاهياً فى عراصها؟ * ولا شاغل إلا التودع والسبخ(3)
335: وإلا اختيالى ماشياً فى سماطها * رخياً كما يمشى بطرته الرخ (4)
وإلا فعدوى مثل ماينفر الطلا * وليداً وحجلى مثل ماينهض الفرخ(5)
كأني فيها أردشير بن بابك * ولا ملك لى إلا الشبيبة والشرخ(6)

(1) ملتخ: سكران مختط لايفهم شيئاً
(2) العفار: شجر يتخذ منه الزناد، المرخ: شجر رقيق سريع الوري
(3) السبخ: الفراغ، وقد قرء: (ان لك فى النهار سبخاً طويلا)
(4) من قطع الشطرنج، ج رخاخ
(5) نفر: شرد و أبعد، والطلا: ولد الظبي، والحجل: رفع رجل ومشي على اخرى، والفرخ: ولد الطائر
(6) أردشير بن بابك: مؤسس الطبقة الرابعة من ملوك الفرس المعروفين بالاكاسرة، أو باكل ساسان، استمر فى الحكم الى سنة 381 ق، هـ، وهو الذى وحد كلمة الفرس، وأعاد الاراضي العربية المجاورة لبلده، ومنها الحيرة والانبار، ومنحهما الاستقلال
والشرخ: أول الشباب وريعانه

وإخوان صدق من لداتى كأنهم * جآذر رمل لا عجاف ولا بزخ(1)
وعاة لما يلقى إليهم من الهدى * وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ(2)
340هم القوم كل القوم سيان فى العلا * شبابهم الفرغان والشيخة السلخ(3)
مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه * ومر الصبا والمال والاهل والبذخ
كأن لم يكن إلا لاقلامهم بها * صرير ولم يسمع لأكعبهم جبخ(4)
ولم يك فى أدهاحها من نسائهم * شميم ولا فى القضب من لينهم ملخ(5)
ولا فى محيا الشمس من هديهم سنا * ولا فى جبين البدر من طيبهم ضمخ 6

❀

345 سعيتم بنى يغمور فى شت شملنا * فما تجركم ربح ولا عيشنا ربخ(7)

(1) اللدة : الترب ، العجف : الهزال ، والبزخ : خروج الصدر ودخول الظهر
(2) الصلخ : الصمم
3) الفرغان : الذى لم يعمر بعد ، والسلخ : الصيرورة فى اخر العمر
(4) الصرير : صوت القلم على القرطاس . والجبخ : تحريك الكعاب واجالتها
(5) الملخ : المداعبة
(6) الضمخ : اللطخ بالطيب
(7) يغمور : يغمراسن بن زيان . والربخ : الخسر

دعيتم إلى مايرتضى من صلاحكم * فردكم عنه التعجرف والجمخ(1)
تمالأتمو عجبـــاً فطم عليكم * عباب له فى رأس عيائكم جلخ(2)
وأو لغمو فى العجب حتى هلكتم * جماحا غواة مابينهم قفخ(3)
كفاكم بها سجناً طويلاً وإن يكن * هلاك لكم فيها فهي لكم فخ(4)
فكم فئة منا ظفرتم بنيلها * بأبشارها من حجن أظفاركم برخ(5)
كأنكم من خلفها وأمامها * أسود غياض وهي مابينكم أرخ(6)
فلا ووصلها القيد إن هي أغربت * وللهام إن لم تعطمارعت النقخ(7)
كأن تحتها من شدة القلق القطا * ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ(8)

(1) التعجرف والجمخ : التكبر
(2) طم : غمر . والجلخ : البضع بالسيف من اللحم
(3) جمح الرجل : ركب هواه . والقفخ : الضرب
(4) يشير الى الحصار الذى ضربه ملك المغرب الاقصى يعقوب بن عبد الحق المرينى على تلمسان . الحصار الذى لم يعرف مثيله فى التاريخ
(5) الابشار : الجلود . والحجن : الاعوجاج . والبرخ : قطع بعض اللحم
(6) الارخ : الذكر من البقر
(7) السوق : ج ساق . والنقخ : الكسر واستخراج المخ من العظم
(8) الفتخ من العقبان : اللينة الجناح

وأقرب ما آلهذى به الهلك والتوى * وأيسر ما تشكو به الذل والفنخ (1)
355 فماذا عسى نرجوه من لم شعثها؟ * وقد خرمنها الفرع واقتلع الشلخ (2)
وما يطمع الراجون فى حفظ آيها؟ * وقد عصفت فيها ريا حهم النبخ (3)
زعانف أنكال لئام عناكل * متى قبضوا كفا على إثره طخوا (4)
ولما استقلوا من مهاوى ضلالهم * وأوموا إلى أعلام رشدهم زخوا (5)
دعاهم أبو يعقوب الشرف الذى * يذل له رضوى ويعنو له دمخ (6)
360 فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم * وما لامرء عن أمر خالقه نخ (7)
وما زلت أدعو للخروج عليهم * وقد يسمع الصم الدعاء إذا أصخوا (8)

(1) التوى : الضياع والهلاك . والفنخ : المهانة والذل
(2) الشلخ : الاصل والعرق
(3) النبخة : الكبريتة التى تشعل بها النار . لعله يريد الرياح العاتية المحرقة
(4) الزعانف : الجماعة ليس لها أصل . والانكال : القاهرون للضعفاء والعناكل : اللئام . والطخ : الشراسة وسوء الخلق
(5) النزخ : الوقوع فى وهدة
(6) رضوى ودمخ : جبلان بجزيرة العرب
(7) النخ : لسير العنيف يريد به الهروب
(8) اصخى : انصت

وأبذل فى استئصالهم جهد طاقتى * وما لظنابيب ابن سابحة قفخ (1)

❀

تركت لمينا سبتة كل نجعة * كما تركت للمعز أهضامها شمخ (2)
وعاليت أن لا أرتوى غير مائها * ولو حل لى فى غيره المن والمذخ (3)
وألا أحط — الدهر — إلا بعقرها * ولو بوأتنى دار إمرتها بلخ (4)
فكم نقعت من غلة تلكم الاضى * وكم أبرأت من علة تلكم اللبخ (5)
وحسبى منها عدلها واعتدالها * وأبحرها العظمى وأريافها النفخ (6)
وأملاكها القصيد المقاولة الأولى * لعزهم تعنو الطراخنة البلخ (7)

(1) الظنبوب : عظم الساق من قدم ، يقال : قرع فلان للامر ظنبوبه أي سهله

(2) الاهضام : ج هضم . بطن الوادى ، وكل مطمئن من الارض . والشمخ : البعيد والمرتفع

(3) المن مئية تنعقد عسلا على بعض الاشجار ، وقد أنزله الله على بنى اسرائيل ليقتاتوا به

(4) بلخ : مدينة شهيرة واقعة في الحدود الشمالية لافغانستان

(5) الاضاة : الغدير ، واللبخ : شجر ورقه كورق الجوز ،

6) نفخة الربيع : خضيرته وازدهاره واعشابه

(7) المقاول : لقب لملوك اليمن ، الطراخنة الرؤساء ، والبلخ . المتكبرون

كواكب هدي في سماء رئاسة * تضيىء فمايدجو ضلال ولا يطخو
370 ثواقب أنوار ترى كل غامض * إذا الناس في طخياء غيهم التخوا
وروضات آداب إذا ماتأرجت * تضاءل في أفياء أفنانها الرمخ(1)
مجامر ند في حدائق نرجس * تنم ولا لفح يصيب ولا دخ(2)
وأبحر علم لاحياض روايـــة * فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ(3)
بنو العزفيين الأولى من صدورهم * وأيديهم تملا القراطيس والطرخ(4)
375 إذا ما فتى منهم تصدى لغاية * تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
رئاسه أخيار وملك أفاضل * كرام لهم في كل صالحة رضخ(5)
إذا ما بدا منا جفاء تعطفوا * علينا وإن حلت بناشدة رخوا(6)
نزورهم حذاً نحافاً فنثنى * وأجمالنا دلح وأبداننا دلخ(7)

(1) الرمخ : الشجر المجتمع
(2) اللفح : الحريق وحر النار . والدخ : الدخان
(3) النضح والنضخ متقاربان : الابتلال بالماء . أوشدة فورانه من ينبوعه
(4) الطرخ قطعة من خوص
(5) الرضخ : الصدى والذكر
(6) رخ : استرخى . وعيش رخاخ : هنيء
(7) الحذا السريع . والدلح : انقباض الخطو من الثقل . والدلخ : السمن

يربو علينا بالعلم والحلم والنهى * فما خرجنا بزولا حدنا برخ(1)
وما الزهد فى أملاك لخم ولا التقى * بدع، وللدنيا لزوق بمن يرخو(2)
وما الفقر فى رب الخورنق غنية * فما يومه سر، ولا صيته رضخ(3)

1 الخرج : وعاء يوضع على ظهر الدابة ، والبز : الثياب من الكتان والقطن ، والبرخ الرخيص من الاسعار

2 لخم قبيلة يمنية نزحت الى شمال جزيرة العرب ، وأسسوا دولة مشايعة للفرس بالحيرة ، وأول ملوكهم عمرو بن عدي بن نصر وآخرهم المنذر بن النعمان المغرور الذي آسلم ثم ارتد ، وقتله العلاء بن الحضرمي سنة ١٤ هـ ، وأغلب ملوك لخم من ذوى العظمة والسؤدد والسلطان ، وتاريخ اللخميين جد مفصل فى كتب الادب والتاريخ

3 هو النعمان بن امرى القيس بانى الخورنق ، لما أتى على ملكه ثلاثون سنة خلا مجلسه على الخورنق ، ونظر ماحوله ، فاعجبه ، ففكر وقال . أي درك فى هذا الذى قد ملكته اليوم ، ويملكه غداً غيرى ، ثم دعا حجابه ونحاهم عن بابه ، وساح فى الارض ، وفيه يقول عدي بن زيد يخاطب النعمان

وتدبر رب الخورنق اذ أشـ * ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة مايمـ * ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى حاله وقال وما غبـ * ـطة حي الى الممات يصير

تطلع يوماً والسرير إمامه * وقد نال منه العجب ماشاء والجنخ
وعن له من شيعة الحق قائم * بحجة صدق لاعبام ولا وشخ (1)
فأصبح يجتاب المسوح زهادة * وقد كان يؤذى بطن أخمصه النخ (2)
وفى واحد الدنيا أبى حاتم لنا * دواء ولكن مالا دوائنا ننخ (3)
تخلى عن الدنيا تخلي عارف * يرى أنها فى ثوب نخوته لتخ
وأعرض عنها مستهينا لقدرها * فلم يثنه عنها اجتذاب ولا مصخ (4)
فكان له من قلبها الحب والهوى * وكان لها من كفه الطرح والطخ (5)
وما معرض عنها وهى فى طلاب * كمن فى يديه من معاناتها نبخ (6)

(1) العبام الاحمق ، الثقيل العيى ، والوشخ : الرذل الضعيف
(2) النخ البساط الطويل
(3) أبو حاتم العزفى احد امراء العزفيين حكام سبتة ، كان يحكمها واخاه ، ثم تنحى عن الملك مختارا تاركه لاخيه ، واقبل على العبادة حتى توفى سنة 716 بمدينة فاس (ظ،ص213 من هذا الكتاب)
(4) المصخ الانتزاع
(5) الطخ الرمى والابعاد
(6) النبخ مايسيبه العمل فى اليد من البثور المملوءة ماء

390 ولا مدرك ماشاء من شهواتها * كمن حظه منها التبجح والنجخ(1)
ولكننا نعمى مراراً عن الهدى * ونصبح حتى ما لآذاننا صمخ
وما لامرء عما قضى الله مهرب * ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ

أبا طالب لم تبق شيمة سؤدد * يساد بها إلا وأنت لها سنخ(2)
تسوغت أبناء الزمان أيادياً * لدرتها فى كل سامعة شخ(3)
395 وأجريتها فيهم عوائد سؤدد * فما لهم كسب سواها ولا نخ(4)
غدتهم غواديها فهى فى عروقهم * دماء وفى أعماق أعظمهم مخ
وعمتهم حزناً وسهلا فأصبحوا * ومرعاهم ورخ ومرعيهم وخ(5)

بنى العزفيين ابلغوا ماأردتم * فمادون ماتبغون وحل ولا زخ(6)

(1) النجخ : التكبر
(2) السنخ : الاصل
(3) شخ فى النوم : غط
(4) النخ : البقر العوامل
(5) الورخ المكان الملتف العشب ، والوخ : المبتل
(6) الزخ : التزحلق

ولا تقعدوا عمن أراد سجالكم * فماغربكم جف ولا غرفكم وضخ(1
400 وخلوا وراء كل طالب غاية * وتيهوا على من رام شأوكم وانخوا
ولا تذروا الجوزاء تعلو عليكم * ففي رأسها من وطء أسلافكم شدخ(2

❁

لأفواه أعدائي وأعين حسدي * إذا جليت خائيتي الفض والفضخ(3
دعوها تهادى في ملاءة حسنها * ففي نفسها من مدح أملاكها مدخ(4
يمانية زارت يمانين فأنثنت * وقد جد فيها الزهو واستحكم الزمخ(5)

---

1) الغرب : الدلو العظيمة ، والوضخ : قلة الماء أو الامتلاء الى نصف

(2) الجوزاء : برج في السماء

(3) فضخ العين : فقاها

(4) المدخ : الكبر والعنزة

(5) والزمخ : الكبر

لكل شئ موعد

وقال يذكر شبابه فى مشيبه :

إن كنت تجهل أننى لا أرقد * فاسأل يخبرك السهى والفرقد(1)
وإن اتهمتهما — لبعض تشابه * بينى وبينهما — فطيفك يشهد
ولقد أبيت الليل لا أدرى به * سهراً كما بات السليم الأرمد
أرعى كواكبه وأرقد صبحه * والصبح أنأى عن هواى وأبعد
فرداً أكابد لوعتى وظلامه * حتى يقوم لورده المتهجد
بان الخليط وبان قلبى إثره * سحراً كما زعم الغراب الأسود
وتباينت أغراضنا وجسومنا * فالجسم يتهم والعزيمة تنجد
وكذاك ماصحبى الذين ألفتم * إلا سراى وعزمتى والفرقد

❋

ونهضت لو وافى نهوضى قوة * منى وساعدنى الشباب المسعد
لا تعجبن لعزمتى وتثبطى * فالشوق ينهض والزمانة تقعد
أودى صباى وغاض ماء معينه * وذوى قضيب فوامى المتأود

(1) السهى : كوكب خفى من بنات نعش ، والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ، وهما فرقدان

وأتى المشيب يزورنى متفقداً * والشيب أبغض زائر يتفقد !!
ولى الشباب وشرخه لم يبق لى * بعد الشباب وشرخه ما أفقد
خلت سوادى ربدة الشعر التى * حلت كما خلى ليبداً أربد (١)
وتكاءدتنى ريثة لم أدرهـــا * فى نهضتى ، ولكل شيء موعد

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى من هوازن قيس أحد رجال المعلقات ، توفي فى أوائل خلافة معاوية ، وأما أربد فهو أربد ابن قيس اخو لبيد لامه ، كان فى الوفد الذى أرسله بنو عامر للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوصل المدينة فى جمادى الثانية من السنة الثامنة ، ولكنه لم يتفق مع النبي ، ولما كان راجعاً سقطت عليه صاعقة فقتلته ، وفيه يقول لبيد يرثيه :

فجعنى الرعد والصواعق بالفا * رس يوم الكريهة النجد

مدامة حيدر

وله فى تفضيل الحشيش على الخمر :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر * معتقة خضراء لون الزبرجد 1
يعاطيكها بدر من الانس أغيد * يميل على غصن من البان أملد
فتحسبها فى كفه إذ يديرها * على القوم مما فوق خد مورد
هي البكر لم تنكح بماء سحابة * ولا عصرت بالرجل يوما ولا اليد
ولا عبث القسيس يوما بذمها * ولا قربوا من دنها نفس ملحد
125 ولا قول فى تحريمها عند مالك * ولا حد عند الشافعي وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها * فخذها بحد مشرفي مهند
وفيها معان ليس للخمر مثلها * فلا تستمع فيها كلام المفند
فكف أكف اللوم بالكف واسترح * ولا تطرح يوم السرور إلى غد
(ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود)

1) حيدر : حيدرة بن يحيى من علماء بغداد ، له موضوع فى اباحتها وكان يستبيحها قولا وفعلا

دمية من صدره

وله يتغـــزل :

430 نظرت إليك بمثل عيني جؤذر * وتبسمت عن مثل سمطي جوهر(1)
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو * كالطلع أو كالأقحوان مؤشر(2)
تجرى عليه من لماها نطفة * بل خمرة لكنها لم تعصر
لو لم يكن خمراً سلافاً ريقها * تزري وتلعب بالنهى لم تخطر
وكذاك ساجى طرفها لو لم يكن * فيه مهند لحظها لم يحـــذر
لو عجت طرفك فى حديقة خدها * وأمنت سطوة صدغها المتجبر
لرتعت من ذاك الحمى فى جنة * وكرعت من ذاك اللمى فى كوثر
طرقتك وهناً والنجوم كأنها * حصباء در فى بساط أخضر
والركب بين مصعد ومصوب * والنوم بين مسكن ومنفر
بيضا إذا اعتكرت ذوائب شعرها * سفرت فأزرت بالصباح المسفر

(1) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية
(2) الطلع : شىء يخرج كانه نعلان مطبقان ، والحمل بينهما منضود والاقحوان : نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره مفلجة صغيـــرة يشبهون به الاسنان ، والاسنان المؤشرة : المحددة الاطراف

440 سرحت غلالتها فقلت سبيكة * من فضة أو دمية من مرمر!
منحتك ما منعتك يقظاناً فلم * تخلف مواعدها ولم تتغير
وكأنما خافت بغاة وشاتها * فأتتك من أردافها فى عسكر
وبجزع ذاك المنحنى إدمانة * تعطو فتسطو بالهزبر القسور
وتحية جاءتك فى طي الصبا * أذكى وأعطر من شميم العنبر
445 جرت على واديك فضل ردائها * فعرفت فيها عرف ذاك الاذخر(1)
هاجت بلابل نازح عن إلفه * متشوق ذاكى الحشا متسعر
وإذا نسيت ليالي العهد التى * سلفت لنا فتذكريها تذكر
رحنا تغنينا ونرشف ثغرها * والشمس تنظر مثل عين الاخزر
والروض بين مفضض ومعسجد * والجو بين ممسك ومعطر

(1) الاذخر بكسر الهمزة : نبات طيب الرائحة

بما اورثتني حمير والسكاسك

ومن بديع نظم ابن خميس قوله يفخر:

تراجع من دنياك ما أنت تارك * وتأبى العتبى وماهي فارك (1)

تؤمل بعد الترك رجع ودادها * وشر وداد ماتود القرائك

حلالك منها ما حلالك في الصبا * فأنت على حلوائه متهالك

تظاهر بالسلوان عنها تجملا * فقلبك محزون وثغرك ضاحك

تنزهت عنها نخوة لازهادة * وشعر عذاري أسود اللون حالك

وهي طويلة طنانة يقول في اخرها (2)

فلا تدعون غيري لدفع ملمة * اذا مادهى من حادث الدهر داعك (3)

فما إن لذاك الصوت غيري سامع * وما إن لبيت المجد بعدي سامك

يغص ويشجى نهشل ومجاشع * بما أورثتني حمير والسكاسك (4)

---

(1) الفرك : البغضة بين الزوجين

(2) وجل قصائد ابن خميس طويلة طنانة الا انا لا نلفى منها الا ابياتا

(3) الداعك : الاحمق والمخاصم

(4) نهشل : قبيلة عدنانية ، ومجاشع بن دارم أبو قبيلة من تميم ، وحمير : ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان أبو قبيلة يمانية ، والسكاسك حي باليمين جدهم سكسك بن أشرس

تفارقنى الروح التى لست غيرها * وطيب ثنائى لاصق بي صائك(1)
وماذا عسى ترجو لداتى وأرتجى * وقد شمطت منى اللحى والافائك(2)
يعود لنا شرخ الشباب الذى مضى * إذا عاد للدنيا عقيل ومالك(3)

(1) الصائك : الملتصق

(2) شمط فلان بالكسر : خالط سواد رأسه بياض

(3) عقيل ومالك ابنا فارج الشاميان : كانا نديمين لجذيمة الوضاح نادماه أربعين سنة يحد ثانه دون أن يعيدا عليه حديثا ، لهما قصص شهيرة فى الادب العربى

من عاذرى ؟

ومما اشتهر من نظمه قوله :

أرق عينى بارق من أثـــال * كأنه فى جنح ليل ذبال (1)
أثار شوقاً فى ضمير الحشـــا * وعبرتى فى صحن خدى أسال
حكى فؤادى قلقاً واشتعال * وجفن عينى أرقا وانهمال
جوانح تلفح نيرانهـــا * وأدمع تنهل مثل العزال (2)
465 قولوا وشاة الحب ماشئتم * ما لذة الحب سوى أن يقال
عذراً للوامى ولا عذر لى * فزلة العالم ما إن تقـــال

❖

قم نطرد الهم بمشمولة * تقصر الليل إذا الليل طال
وعاطها صفراء ذميـــة * تمنعها الذمة من أن تنال
كالمسك ريحاً واللمى مطعماً * والتبر لوناً والهوى فى اعتدال
470 عتقها فى الدن خمارها * والبكر لاتعرف غير الحجال
لاتثقب المصباح لا واسقنى * على سنا البرق وضوء الهلال

1 الذبال : ج ذبالة : الفتيلة
2 العزلاء مصب الماء من الراوية ونحوها

فالعيش نوم والردى يقظة * والمرء ما بينهما كالخيال
خذها على تنظيم مسطارها * بين خوابيها وبين الدوال(1)
فى روضة باكر وسميها * أخمل دارين وأنسى أوال(2)
475 كأن فار المسك مفتوقة * فيها إذا هبت صبا أو شمال
من كف ساجى الطرف ألحاظه * مفوقات أبداً للنصال

❀

من عاذري؟ والكل لى عاذل * من حسن الوجه قبيح الفعال
من خلبي الوعد كذابه * ليان ، لا يعرف غير المطال
كأنه الدهر ، وأي امرء * يبقى على الدهر إذا الدهر حال!
480 أما ترانى اخذاً ناقضاً * عليه ماسوفنى من محال
ولم أكن قط له عائباً * كمثل عابته قبلى رجال
يأبى ثراء المال علمى ، وهل * يجتمع الضدان : علم ومال!
وتأنف الارض مقامى بها * حتى تهادانى ظهور الرحال
لولا بنو زيان مالذلى الـ * عيش ولا هانت على الليال

1 فى بعض النسخ : التنغيم والنغمة الجرعة . والمسطار الخمر الصارعة لشاربها ، والمقصود السطر

2 الوسمى : أول مطر الربيع ، ودارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك فيقال مسك دارى ، وأوال : جزيرة هناك طيبة الهواء

485 هم خوفوا الدهر، وهم خففوا * على بنى الدهر خطاه الثقال
لقيت من عـــامرهم سيداً * غمر رداء الحمد جم النوال(1)
وكعبة للجود منصوبة * يسعى إليها الناس من كل حال
خذها أبا زيان من شاعر * مستملح النزعة عذب المقال
يلتفظ الالفاظ لفظ النوى * وينظم الآلاء مثل اللئـــال
490 مجارياً مهيار فى قوله * (ما كنت لولا طمعى فى الخيال)(2)

1 أمير المسلمين: أبو زيان عامر بن ابى سعيد بن يغمراسن بن زيان ولد سنة 659 . وبويع يوم الاحد ثانى ذى القعدة سنة 708 ، وتوفى صبيحة يوم الاحد 21 شوال 707 ، وكان رحمه الله فاضلا لين الجناب رمم المتثلم من الرياض والقصور وأحيى الغروس بعد انتهاء حصار بني مريـــن

2 مهيار بن مرزوية الديلمى الشيعى كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضى وتخرج عليه وجاراه فى منازعه حتى كاد يفوقه ، توفى سنة 428 وقصيدته التي عارضها ابن خميس مطلعها :

ما كنت لولا طمعى فى الخيال * انشد ليلى بين طول الليال

عجباً لها

ومن مشهور نظم ابن خميس قوله :

عجباً لها ، أيذوق طعم وصالها * من ليس يأمل ان يمر ببالها؟
وأنا الفقير إلى تعلة ساعة * منها ، وتمنعني زكاة جمالها
كم ذاء وعن عيني الكرى متأنف * يبدو ويخفى فى خفي مطالها
يسمو لها بدر الدجا متضائلا * كتضاؤل الحسناء فى أسمالها
495 وابن السبيل يحيي يقبس نارها * ليلا ، فتمنحه عقيلة مالها
يعتادني فى النوم طيف خيالها * فتصيبني ألحاظها بنبالها
كم ليلة جادت به فكأنما * زفت علي ذكاء وقت زوالها(1)
أسرى فعطرها وعطل شهبها * بأبى شذا المعطار من معطالها
وسواد طرته كجنح ظلامها * وبياض غرته كضوء هلالها
500 دعني أشم بالوهم أدنى لمعة * من ثغرها، وأشم مسكة خالها(2)
ماراد طرفى فى حديقة خدها * إلا افتتنته بحسن دلالها
أنسيب شعرى رق مثل نسيمها * فشمول راحك مثل ريح شمالها

1 ذكاء : الشمس
2 شام البرق : نظر اليه أين يتجه وأين يمطر

وانقل أحاديث "هوى واشرح غر * يب لغاتها واذكر ثقات رجالها
واذا مررت برامة فنوق من * أطلائها وتمش فى أطلالها(1)
505 وانصب لمغزلها حبالة قانص * ودع الكرى شركاً لصيد غزالها
وأسل جُد اولها بفيض دموعها * وانضح جوانبها بفضل سجالها (2)

❀

أنا من بقية معشر عركتهم * هذى النوى عرك الرحى بثفالها(3)
أكرم بها فئة أريق نجيعها * بفيا ، فراق العين حسن مآلها
حلت مدامة وصلها وحلت لهم * فان انتشوا فبحلوها وحلالها
510 بلغت بهرمس غاية مانالها * أحد ، وناء بها لبعد منالها (4)
وعدت على سقراط سورة كاسها * فهريق مافى الدن من جريالها(5)

(1) الرامة : كنس الرئم (الظبي) والاطلاء ج طلا : ولد الظبى
(2) السجال ج سجل : الدلو العظيمة
(3) يعرف التاريخ ثلاثة من كبار الفلاسفة والمنجمين باسم هرمس اولهم هرمس الذى يسميه العبرانيون اخنوخ وكان قبل الطوفان وثانيهم هرمس البابلي وكان فى زمن نزربالى بانى بابل وثالثهم هرمس صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم . وهو ايضا طبيب فيلسوف
(4) سقراط : هو اكبر فلاسفة اليونان ، صاحب الحكم الفاضلة ، والوصايا الشريفة . ولد سنة 1091 ق ه وتوفى سنة 1018 ق ه

وسرت إلى فاراب منها نفحه * قد سيبة جاءت بنخبة آلها (1)
ليسوغ من أحسانه فى حانها * ماسوغ القسيس من أرمالها
وتغلغلت فى سهرورد فأسهرت * عينا يؤرقها طروق خيالها (2)
فخبا شهاب لما أشرقت * وخوى فلم يثبت لنور جلالها (3)
ماجن مثل جنونه أحد ولا * سمحت يد بيضا بمثل نوالها
وبدت على الشوذي منها نشوة * مالاح منها غير لمعة آلها (4)

(1) فاراب : مدينة فى التركستان . قريبة من نهر سيحون . وهي مسقط راس اكبر الفلاسفة الاسلاميين ابى نصر محمد بن طرخان بن اوزلغ الفارابى المتوفى 429 الذى يعنيه ابن خميس بهذا البيت والذي بعده

(2) سهرورد : قرية عند زنجان، من جهة العراق

(3) شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردى كان ابرع علماء عصره فى الفلسفية والاصول الفقهية مفرط الذكاء قتل سنة 587 ولما تحقق القتل كان ينشد البيت

أرى قدمى أراق دمى * وهان دمى فيا ندمى

(4) ابو عبد الله محمد الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوى دفين الربض الشمالى من تلمسان المعروف باسمه وقد كان احد كبار المتصوفة فى وقته يقال انه كان قاضيا بالاندلس قبل هجرته لتلمسان . لم اقف على وفاته . ويزعم عوام تلمسان انه مات مذبوحا .

بطلت حقيقتها وحالت حاله * فيما يعبر عن حقيقة حالها
هذى صبابتهم ترق صبابة * فيروق شاربها صفاء زلالها

❀

520 أعلم أبا الفضل بن يحيى أننى * من بعدها أجرى على آثالها(1)
فاذا رأيت مولهاً مثلى فخذ * فى عذله إن كنت من عذالها
لاتعجبن لما ترى من شأنها * فى حلها إن كان أو ترحالها
فصلاحها بفسادها ، ونعيمها * بعذابها ، ورشادها بضلالها

❀

ومن العجائب أن أقيم ببلدة * يوماً وأسلم من أذي جهالها
523 شغلوا بدنياهم ، أما شغلتهم * عنى ؟ فكم ضيعت من أشغالها
حجبوا بجهلهم فان لاحت لهم * شمس الهدى عشوا بضوء ذيالها(2)
وإن انتسبت فاننى من دوحة * تتقيل الانساب برد ظلالها
من حمير من ذى رعين من ذرا * حجر ، من العظماء من أقيالها
وإذا رجعت لطينتى معنى فما * سلسالهم بأرق من صلصالها

1 يفهم من كلام الاستاذ مزيان فى بحثه بالفرنسية عن ابن حميس ان هذه القصيدة قيلت فى أحد بنى زيان . ونحن نستبعد ذلك
2 الذيال : طويل الذيل . يريد به موصوفه الشعاع

535 لله درك أي نجل كريمة * ولدته فاس منك بعد حبالها
ولانت لاعدمتك والد فخرها * وسماك سؤددها وبدر كمالها
اغلظ على من عاث من أنذالها * واخشع لمن تلقاه من أبدالها
والبس بما أوليتها من نعمة * حلل الثناء وجر من أذيالها
خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة * جاءتك لم ينسج على منوالها
535 ماجال في مضمارها شعر ولا * سمحت قريحة شاعر بمثالها
وأنل أبا البركات من بركاتها * وادفع محال شكوكه بمحالها (1)

هذه أمتع الله ببقائك، وأسعد بلقائك، وأراها بما تؤمل من شريف اعتنائك، وترجوه من جميل احتفائك، ما تعرف به من احتذائك، وتعترف له ببركة اعتفائك، كريمة الاحياء وعقيلة الاموات والاحياء، بنت الاذواء والاقيال (2) ومقصورة الاسرة والحجال، بل أسيرة الاساوير والاحجال (3)

1) ربما كان أبا البركات بن عيشون البلفيق تلميذ ابن خميس

(2) الاذواء: كل من تسمى بذى كذا من تبابعة اليمن، والاقيال ج قيل: لقب ملوك العرب

(3) الاساوير: الدمالج، والاحجال: الخلاخيل، أما الحجال فالستار تضرب للعروس

على أنها حليفة آلام وأوصاب ، وألفية أشجان واطراب ، صبابة أغراب من صيابة أعراب (1) ، جاورت سيف بن ذى يزن فى رأس غمدان (2) ، وجاورت مسلمة بن مخلد يوم جابية الجولان (3) ، وذلقت لسان ابن أخته

(1) الصبابة بالضم : بقية الماء ونحوه فى الاناء ، والاغراب ج غرب بالسكون : الدلو العظيمة ، والصيابة بضم الصاد وتشديد الياء الخيار والاعراب : سكان البادية خاصة

(2) سيف بن ذى زن بطل اليمن الشهير ، ومحرره من الاحباش خرج من اليمن مستصرخا كسرى أنو شروان فامده بجند وأسطول فطردوا الاحباش بعد أن تسلطوا على اليمن زهاء سبعين سنة واثر ذلك جاءت وفود العرب لتهنئته ، وفى مقدمتها وفد قريش برئاسة عبد المطلب جد رسول الله (ص) ، أما غمدان فهو القصر الذي بناه سيف بن ذى يزن بصنعاء ، قالوا انه كان عشرين سقفا طباقا بين كل سقفين عشرة أذرع

(3) مسلمة بن مخلد بن الصامت الخزرجى الانصارى ، ولد مقدم رسول الله (ص) على المدينة ، وشهد فتح مصر وسكنها ، ثم تحول الى المدينة وفى سنة 41 قدم واليا على مصر وافر يقيا ، وهو أول من جمعت له ولا يتاهما ، وبمصر توفى سنة 62 ، وكان حفاظا للقرءان

حسان (1) ، فتضاءلت لرقه حده جسوم بنى عبد المدان(2) ، قربه وما شيم من غمده قيد ابن الاطنابة بين يدي النعمان(3) ، قربت بنى جفنة مزار جلق ،(4) وسعرت لبنى تميم نار محلق ،(5) ومرت على معتاد غاب فما أنست ناره ، وطافت ببيت عبد الله ابن درام فلم ترض جواره ،(6) ولو حلت بفنائه ، واستحلت ما

(1) أبو الوليد حسان بن ثابت الانصارى ، نشأ جاهليا يمدح الغساسنة والمناذرة ، ثم أسلم وصار شاعر الدعوة المحمدية مات سنة 54

(2) بنو عبد المدان قبيلة كانت تسكن على حدود اليمن بنجران وقصتهم مع حسان لم نقف عليها

(3) شيم السيف : أغمد واستل معا وابن الاطنابة : عمرو بن زيد مناة الخزرجى شاعر جاهلى مشهور وأمه الاطنابة من بنى كنانة بن قيس ابن جسر بن قضاعة والقصة التى نعرفها لابن الاطنابة وقعت له مع الحارث بن ظالم

(4) بنو جفنة : ملوك الشام الغسانيون ، وجلق ، دمشق راجع قصيدة حسان :

أسالت ربع الدار أم لم تسال؟ * بين الجوابى فالبضيع فحومل

(5) المحلق : المحرق : عمرو بن المنذر بن امرء القيس المعروف أيضا بعمرو بن هند وهو الذى حرق بنى تميم كما سياتى

(6) بنو دارم : قبيلة من تميم ، قتلوا أخا أو ابنا لعمرو بن هند فاحرق به مئة من بنى تميم ، تسعة وتسعون من بنى دارم ، ووافد البراجم متم المئة

أحل لها من مبذول حبائه ، لا تغمر لها ما جنته بيطن أواره (1) ولحلت لها حبوتا مجاشع وزرارة (2) مزيقت على مزيقيا حللا (3)، وأذهبت يوم حليمة مثلا (4)، وأركبت عنزا شر يوميها بحدج جملا (5)

1) أواره : واد وجبل به قتل عمرو بن هند بني دارم ووافد البراجم

(2) مجاشع : ابن دارم ابو قبيلة من تميم ، وأما زرارة بن عدس التميمي الذي ترك الملك عمرو بن هند عند ابنه الذي لما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرماه صاحبها سويد بن ربيعة التميمي ، فكان ذلك سببا لتحريق عمرو بن هند لبني تميم بيطن أواره

(3) مزيقيا : عمرو بن عامر الازدي ، زوج الكاهنة طريفة سمي مزيقيا لانه كان يمزق في كل يوم حلة ليلا تلبس من بعده ، وقيل لانه مزق الازد

4) يوم حليمة : هو يوم انتصر فيه الحارث بن جبلة الاعرج على المنذر بن ماء السماء بقنسرين ، وقتل المنذر فيه

5) عنز : اسم امرأة من طسم ، يقال لها عنز اليمامة ، وهي الموصوفة بحدة النظر ، قال الاصمعي انها سبيت ، فحملوها في هودج وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت :

شر يوميها وأغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

أي (شر أيامي حين صرت أكرم للسباء) وقيل في عنز غير ذلك (ظ تاج العروس ج 4 ص 51)

وناطت بأذن مارية قرطها (1) وجرت على أثر الكندى مرطها (2) وقفها بين الدخول وحومل فوقفت (3) ، وأنفها يوم دارة جلجل فنفت وما النت (4) ، عقر ناقته وانتهس عبيطها (5) .

(1) مارية بنت ظالم بن وهب أخت هند الهنود امرأة حجر اكل المرار ، وهي ام ملوك بنى جفنة الغسانيين التى عناها حسان بقوله :

أولاد جفنة حول قبر ابيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

يقال انها اهدت للكعبة قرطين لم ير الناس مثلهما ، حتى ضرب العرب بهما المثل فقالوا : (خذه ولو بقرطي مارية)

(2) الكندى : امرؤ القيس بن حجر الكندى اكبر شعراء الجاهلية وابن خميس يشير الى قوله فى المعلقة :

خرجت بها امشى تجر وراءنا * على اثرينا ذيل مرط مرحل

(3) يشير الى قوله فى مطلع القصيدة

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوا بين الدخول فحومل

(4) دارة جلجل كالدخول وحومل اماكن بنجد ، والاشارة الى قول الكندى

الارب يوم لى من البيض صالح * ولا سيما يوم بدارة جلجل

(5) نهس اللحم : اخذه بمقدم اسنانه ، العبيط : الذبيحة تنحر وهى فتية من غير علة ، والاشارة الى قول امرء القيس

ويوم عقرت للعذارى مطيتى * فيا عجبا من كورها المتحمل

ودخل خدر عنيزة فأمال غبيطها (1) أغرت أبا قابوس بزياد(2)
وأسرجت للزبيـــدى فرس ادواد (3)، ونافرت بحاتم
طيى كعب إياد (4)، وسارت للمساور ؟ بمثل جوده السائر،
ولئن بلت الجعفرى لبيداً (5) فقد استعبدت الاســـدي

(1) عنيزة اسم محبوبة امرئ القيس، والغبيط الرحل وهو يشير الى قوله
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً * عقرت بعيرى يامرء القيس فانزل
(1) أبو قابوس : النعمان الثالث ملك الحيرة، وزياد هو النابغة
الذبيانى الشاعر الجاهلي المشهور، وقدهم به النعمان حين بلغه شعره
فى المتجردة زوجته وشعراتهم بنظمه فى هجوه
(3) الزبيدى : أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدى
قدم فى وفد زبيد على رسول الله (ص) سنة تسع وأسلم وشهد الفتوح
ومات بالقادسية أو نهاوند وأما ادواد فاحسبها فرسه
(4) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى أشهر كرماء العرب وكعب
اياد هو كعب بن مامة احد اجواد العرب واياد حي من معد
(5) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب الصحابى الشهير
واحد رجال المعلقات يزعم بعضهم انه اغتال المنذر بن ماء السماء

عبيداً (1) ، وقطعت به فى أثر سليماه الامهرية يبداً (2) . أرته المنية على حربة هندها الملحوب ، وما حال قريضة دون جريضه وأقفر من أهله ملحوب ، ومازالت تخبط فى شعـــاب الانساب فترشد ، وتشد ضالتها اليمانية فتنشد :

إن كنت من سيف بن ذي يزن * فانزل بسيف البحر من عدن
وذر الشآم وما باه بـــه إ * رومي من قصر ومن مدن

(1) هو عبيد بن الابرص بن حنتم بن عامر الاسدي الشاعر الجاهلى المشهور . طلع على النعمان فى يوم من أيام بؤسه . فقال له الاكان الذبيح غيرك ياعبيد ؟ فقال عبيد : أتتك بحائر رجلاه . فقال الملك انشدنى ياعبيد : فقال حال الجريض دون القريض . وبلغ الحزام الطبيين . فقال الملك : انشدنى .

أقفر من أهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب

فقال عبيد : المنايا على الحوايا . فقال بعض القوم : انشد الملك هبلتك امك ! فقال عبيد لايرحل رحلك من ليس معك . فقال الملك : لابد من الموت ولو عرض لى انى فى هذا اليوم . وخيره فى طرائق الموت فقال ان كنت لابد قاتلى . فاسقنى الخمر . حتى اذا ذهلت لها ذواهلى . ومالت لها مفاصلى . فشانك وما تريد

(2) لعلها صاحبة عبيد

تعلف سيل العرم وترد غسان (1)، وتمهد لها أعضام تبالة فتقول مرعى ولا كالسعدان (2)، تساجل عن سميحة بابن حزام (3)، وتناضل بسمير يوم خزام، وتنسى قاتل ستة آلاف، وكاسى بيت الله الحرام ثلاثة أفواف. فلو ساجلت بنعمها أبا كرب (4)، وأرته ضراعة خدها الترب (5) لساجلت به أخضر الجلدة فى بيت العرب، ماجداً يملا الدلو إلى عقد الكرب، بل لو حطت بفناء بيتها الحجرى رجلها،

(1) سيل العرم: سيل أرسله الله على أهل سبا بعد أن أعرضوا عن دعوة الحق. بتهديم السد الذى بناه يثعمر ملك سبا فى القرن السادس قبل المسيح، وغسان ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه منهم بنو جفنة ملوك الشام

2 يد العضم: المطمئن من الارض وبطن الوادي. وتبالة: بلد خصب باليمن ولي عليها الحجاج فاتاها فاستحقرها ولم يدخلها فقيل فى ذلك مثل اهون من تبالة على الحجاج، والسعدان: نبت من اجل مراتى الابل يضرب به المثل فيقال: مرعى ولا كالسعدان

3 ابن حزام: هو عروة بن حزام الشاعر الاسلامى صاحب عفراء احد المتيمين الذين قتلهم الهوى

4 ابو كرب: أسعد بن مالك الحميرى، أحد التبابعة

وساجلت بفناء جدها ذى رعين (1) لاستوفت سهلها ، كم عاذت بسيفها اليزنى فادركت ذحلها (2) ، ولاذت بركنها اليمنى فأجزل محلها ، ولو استسقت بأوديتها لاذهبت محلها ، كافحت عن دينها المحنى فما كهم حسامها ، ونافحت عن نبيه الامى فأيدت بروح القدس سهامها ، سدت باب الدرب دون بنى الاصفر ، وما شغلها كسر تاج كسرى عن قرع هامة قيصر ، فلقد حلت من سنام نسبها اليعربى بأسمك ذروة ، وتعلقت من ذمام نسبها العربى بأوثق عروة ، تفرد صاحب تيماء بأبلقه الفرد فعز (3) وتمرد رب دومه الجندل لما كان من مارد فى حرز (4) فما ظنك أعزك الله بمن حل من قدسى عقله بمعقل قدس يطار إليه ولا يطار ، وراد من فردوس أدبه فى جنة لا يضام رائدها ولا يضار ، زها بمجاورة الملك فازد هى رؤساء الممالك ، وشغف بمجاورة الملك فاشتغل عن مطالعة المسالك ! أيشق غباره ، وعلى

(1) ذو رعين : ملك حميرى ، وحجر ذى رعين : مساكن باليمن

(2) الذحل : الثار

(3) الابلق حصن السموءل بن عاديا . بارض تيماء . قصدته الزباء فعجزت عنه فقالت عز الابلق

(4) مارد : حصن بدومة الجندل عجزت عنه الزباء كذلك . تمرد مارد

جبين المرزم مثاره ، أو يتهك ذماره ، وغاب الاسد بيته ودار أخيه أسامة زاره ، ولما قضت من أنديتها العربية أوطارها ، واستوفت على أشرف منازعه الادبية اطوارها وعطرت بنوافج أنفاسها الذكية آثارها ، وأطلعت فى ظلم أنفاسها الذجوجية كواكبها النيرة وأقمارها ، عطفت على معقلتها الشاذلية فحلت عقالها ، وأمر لها فراق الوطن فلما استمر حلالها . استودعت بطنان تبالة ءالها ، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها ، أطلت على دارات العرب فحيت أطلالها ، ودعت لزيارة أختها اليونانية أذواء حمير وأقيالها ، أطمعتها بلميعة ألمعيتها الاعجمية ومثلها يطمع ، وجاء بها قدماء الحكمة أو حدى الاحوذية فباتت تخب إليه وتوضع ، باحثة عن مركز دائرتهم الفيثاغورية ، ءاخذة فى إصلاح هيئتهم الانكسارية ، مؤثرة لما تدل عليه دقائق حقائق بقايا علوم مقاييسهم البرهانية ، وتشير إليه رموز كنوز وصايا علماء نواميسهم الكندانية ، من مأثور تأثير لاهوتية قواهم السيماوية ، راغبة فيما يفاض على مادتها الجسمانية ، ويطرأ على عاقليتها الهيولانية ، من علويات آثار مواهبها الربانية ، موافقة لمثلهم المفارقة أفضل موافقة ، موفقة لما وافق من شوارد آرائهم الموافقة أحسن موافقة ، وتحت هذه الاستار

مخدرات أسرار ، أضربها الاسرار ، وطالما نكر معارفها الانكار ونقلت من صدور أولئك الصدور إلى بطون هذه الاوراق ، فى ظهور فوق دفاتر فلسفيات معانى علومهم الرقاق ، وفى تلك المغانى ، أبكار معانى ، سكن الجوانح والصدور ، قبل الارائك والخدور ولحن فى دياجى ، ظلم هذه الاحاجى ، كأقمار فى أطمار ، هبرن وما ظهرن ، وسطعن وما لمعن ، فمشقن وما رمقن ، واستملحن وما لمحن ، أدرن خمور أجفانهن على ماخوريات ألحانهن فهيجت البلابل ، نغم هذه البلابل ، واستفرغت الأكياس ، مترعات تلك الاكواس ، ماسحر بابل ، كخمور بابل ولا مثقلات اعابتهن الاوائل كحمائم الهوادل ، إن وصلت هديلها بخفيف وصلن ثقيلهن بخفيف إيه أيها الشمرى المشمعل ، دعنا من حديثك المضمحل ، سر بنا أيها الفارس النرس من حظيرة النفس إلى حضرة القدس صرح باطلاق الجمال ، من عالميتك الملكوتية فى أفسح مجال ، تمش بين مفاصير قصورها ومعاصر خمورها رخص البال مرخى السربال فما ينسج لك على منوال نادم عليهامن شغف دن سقراط ، ان استحسنت لها عسان فما يصلح لك صالح بن علاط ، بت صريع محياها فقد أرضت بمعالجة

عقيير معاقرة عقار بقراط ، لاتخش صاحب شرطتها فلا شرط له عليك ولا اشتراط مالك غير مبديك الاول من قال امتثل الأمر وما عليك من امرء وال ، على رسلك ما هذا العجل ؟ ولا خطأ تتوقعه ولا خطل ، أمكبره أنت فى هذه الكريهة أم بطل ، لو علم أنك ضبارية هذا الخميس( ) وخبعثة ؟ ذلك الخميس ، لما عانى اليك اليم رسيس ، شوقاً اليك محمد بن خميس ، على أنه اليوم لاغالب ، لانى غالب ، ولا طالب يدرك شأو هذا الطالب فقه بلا تفهيق وحذق بلا تحذلق أقسم أبا الفضل بمالك على أى البركات من الفضل ذلك العراق الاروعة لاهذا الفارسى الجرثومة وإن يكن ذلك إسرائلى الاصل وهذا إسماعيلي الجنس علوى الفصل فلتلك الذات شرف تلك الادوات قدم لى غالبينا المذكور من باسه الغز لارفع وأسمى من متعد قوطيهم المشهور ، من غرناطة الحمراء ، ومن متبوءا أبى أميتهم المرحوم من جنات جزيرتهم الخضراء ، فبما لنت ابا الفضل من هذه العربجة والوك ، أرأيت فى عمرك مثل هذا الهلوك لا والله ما على ظهر هذه الغبراء ، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة فى بنى غبراء فأى شيء هذا المزعاش ، لا حال لنامعك ولا عيش من يضحك لى هذا الطيش ، ما هذا الخبل ؟ أخمار بث أم ثمل ، ارجع إلى ما

كنت بصدده وقيت الزلل ، خذ فى الجد فما يليق بك الهزل ، رق عن ذلك بجد لنا منه أرق غزل ، ماذا أقول ؟ وأي عقل يطاوعنى على هذا المعقول ، أفحمتنى والله عن مكالمتكم هذه المحن ، ومنعتنى من طلب مسالمتكم مالكم علي فى دنياكم هذه من الاحن ، إن تكلمت كلمت ، وإن استعجمت عجمت ، أما لهذه العلة ـاس ، أم على هذه الفيلة مواس ، ما حيلتى فى طبع بلدكم الجاسى ، أما يلين لضعفى أما يرق قلب زمانكم القاسى ، ماهذه الدمن يابنى حضرا وات الدمن أظهرتم المحن ، فقلب لكم ظهر المجن ، إن مر بكم الولى حمقتموه وان زجركم العالم فجرتم عليه فمقتموه ، وإن نجم فيكم الحكيم غصصتم به فكفرتموه وزندقتموه كونوا فوضى فما لكم اليوم سراة واذهبوا من راعيكم المستوبلة ، حيثما شئتم فقد أهملكم الرعاة ضيعتم النص والشرائع ، وأظهرتم فى بدعكم العجائب والبدائع نفقتم النفاق ، وأقمتم سوق الفسوق على ساق ، استصغرتم الكبائر وأبحتم الصغائر ، أين غنيكم الشاكر ، يتفقد فقيركم الصابر ، أين عالمكم الماهر ، يرشد متعلمكم الحائر ، مات العلم بموت العلماء وحكم الجهل يقطع دابر الحكماء ، جرد لنا شريعتك بأفضـــل الشارعين ، أتم فيها موعظتك بأفضـــل النابغين

لا والله مايفيقكم من هذا الوسن ، وعظ الحسن (1) ولا ينقذكم من فتن هذا الزمن ، غير سيف معلمه أبي الحسن (2) ، والسلام (3)

2) الحسن : هو الحسن بن أبي الحسن البصري الواعظ الشهير توفي سنة 110 وأبو الحسن : الامام علي (ض)

(3) لقد جنت أيدي النساخ على هذه الرسالة البديعة وعلى كثير من أشعار ابن خميس جناية كبرى ، وقد فعلنا كل ما في استطاعتنا لتصحيحها وتحريرها من القلب والتحريف، مع تحقيق كثير مما فيها من الاعلام ، على أننا والحق يقال عجزنا عن تصحيح كثير من الالفاظ والجمل فتركناها كما هي ، وانا نهيب بالقراء الكرام الذين يملكون نص هذه الرسالة أن يعتنوا بتصحيحها ، وأن يتكرموا بارسال نصها وارسال كل مايقع بين ايديهم من ادب ابن خميس مما لم يرد في هذا الكتاب الى صندوق بريدنا رقم B.P.69 بتلمسان ، ولهم الشكر

لم ارد الا سراباً

قال ابن الخطيب ، ومن مشهور نظمه قصيدته الطويلة التى أولها :

مشوق زار ربعك يأماما * محا آثار دمنتها التثامـــا
تتبع ريقه الطل ارتشاف ـــاه فلا نقعت ، ولا نقعت أواما

قال ابن الخطيب : وهي طويلة من غرر قصائده ، يمدح بها ابا سعيد ابـــن عامر و يذكر الوحشة الواقعة بينه وبين ابن خطاب ه

قلت وقد عثرت فى رحلة العبدرى على ابيات من هذه القصيدة نسوقها تتميماً للفائدة :

ويا برقاً أطل على أوال * يمانيا متى جئب الشآما
أثغر أمامة انت ابتساماً * ام الدار الاوامي انتظاما
خفقت ببطن واديها لواء * ولحت على ثنيتها حساما
امشبه قلبى المضنى احتداما * على ما ذدت عن عينى المناما
ولم اسكرتنى وصددت عنى * خيالا كان يأتينى لماما
وابلغ منك تأريقاً لجفنـــى * كلام اثخن الأحشا كلاما
تعرض لى فأيقظت القوافى * ولو ترك القطا يوما لناما

أضام وفى يدى قلبى لما ذا * أضام بغير جرم أو على ما
به ربما أذلق من لسانى * أفل الصارم العضب الهذاما

❀

خليلى إن قدرت فلا تكلنى * لدهر علم الشح الغماما
وردت فلم أرد إلا سراباً * وشمت فلم أشم إلا جهاما

لله أيام بها قضيتها

ومن شعره أيضا قوله

سحت بساحك ياحل الادمع * وتضرمت أسفاً عليك الأضلع
فلطالما جادت ثرى الآمال من * جاوى مؤملك الغيوث الهمع
لله أيام بها قضيتها * قد كنت أعلم أنها لاترجع
فلقد رشفت بها رضاب مدامة * بنسيم أنفاس البديع تشعشع
فى روضة بعثت منها أنها * مرعى لأفكار الندامى ومشرع
تجرى بها فقر كميت رهانها * أجرى بميدان الكلام وأسرع
فقر كريعان الشباب وعهدنا * بجنابها وهو الجناب الامنع
نفاثة الأنواء فى عقد الثرى * والنفث فى عقد الثرى لايمنع
حتى إذا حاك الربيع برودها * وكسا رباها وشيه المتنوع
بدأت كمائم زهرها تبدى بها * بدعاً تفرق تارة وتجمع
قد ضم منها ما تجمع منطق * إذ بث منها ما تفرق مصقع
وكلابها مهما أردت مسالم * ومحارب ومؤمن ومروع
كل له شرع البيان محلل * المنكر فى مثل هذا مدفع
حيث ازدهت أنوار كل حديقة * أدباً ينظم تارة ويسجع

فمرجل من رقمها ومهلهل * ومسمط من نظمها ومصرع(1)
565أبدى البديع بها بدائع صنعه * فمجنس ومبدل ومرصع (2)
وموشح ومرشح ومصـــدر * ومكرر ومفرع ومتبع (3)
كل يروق بها بحسن رواية * وإذا تزين به كلامك تبرع
ولقد غدوت بها وفى وكناتها * طير لها فوق الغصون ترجع
بعطهم الفكر الذى ماإن له * إلا بمستن الادلة مصرع
570قيد المطالب لايزال نخبه * بين الجياد لعتقه أو يوضع

(1) التسميط : هو أن يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ، ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت ، والتصريع : هو استواء اخر جزء فى صدر البيت واخر جزء من عجزه فى الوزن والروى والاعراب
(2) الجناس : هو تشابه اللفظين فى التلفيظ ، والتصريع هو مقابلة كل لفظة في صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها
(3) التوشيح : أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ اخر ، والترشيح هو أن ياتى الشاعر بلفظة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها لذلك ، والتكرير : هو إن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى لتاكيد الوصف أو المدح أو الذم الخ والتفريع : هو ان يصدر الشاعر كلامه باسم منفى بما خاصة ثم يصف ذلك المنفي باحسن اوصافه المناسبه للمقام مدحا او ذما ، والتتبيع هو ان ياتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من الوجوه

أرمى به الامد البعيد وإنه * حمل يضل به الدليل الأصمع(1)
من بعد ما عفت السوارى سبله * ومحت معالمه الرياح الاربع(2)
اكننى جددت دائر رسمه * فطريقه من بعد ذلك مهيع (3)
أوضحت فهم حدوده وضروبه * والكل فى كل المسالك يدفع
575 حتى وردت من السماع مواردا * فيها لظمآن المباحث مكرع(4)
مع كل مسقول الذكاء فحدسه * لذكاء أسرار الطبائع مطلع
يرتاد من نجع العناصر نجعة * فيها مصيف للعقول ومربع
لاشيء أبدع من تجاورها وما * يبدى بها ذاك التجاور أبدع
فاذا تشعشع مزجها أورى بها * نار الحباحب مزجها المتشعشع
580 فمكين سرحياته بحبابها * من بعد قدح زنادها مستودع
وهنا تفاض عليه صورته التى * لبهائها شم الطبائع تخضع
من واهب الصور التى قد خصها * ببديع حكمه الحكيم المبدع
رب له فى كل شيء حكمة * يقضى بها البدعي والمتشرع

(1) الاصمع : المترقى أعلى المواضع ، الذكى القلب الحديد الفؤاد
(2) الرياح الاربع : الصبا والدبور والشمال والجنوب
(3) المهيع : الطريق الواسع البين
(4) فى بعض النسخ من السماء !؟

وحللت من أرض الرياضة أربعاً * نفسي الفداء لها وهذي الاربع
685 قامت زواياها فما أوتادها * إلا تقوم ما تقيم الاضلع
وتناسبت أقدارها نسباً لها * لو كنت تبصرها فروع فرع
فأجل ما قد شمته بحلولها * من بارق لجناب رشدي يلمع
لاشك أن وراءه مطراً له * في كل ضرب من قياسي موقع
بحر روي مترع ملاحه * من فيضه هذا الروي المترع
690 لم لاأضيع بها عهاد مدامعي * إني إذاً لعهوده لمضيع

❀

خلي لو لم تسعداني في البكا * لقطعت من حيلكما مايقطع
أرأيتما نفساً تفارق جسمها * وبه تنعمها ؟ ولا تتوجع !
عظمت رزيتها وأي رزية * ظلت لها أكبادنا تتقطع
هذي حمامك ياعلي سواجع * واخالها أسفاً عليها تسجع
695 إن طارحتني ورقها فبأظلمي * شوق يطارحه ادكار موجع
آه على جسمي الذي فارقته * لاكنت ممن جسمه لايرجع
ومن العجاب رجوع مأدي به * دهر بتشتيت الاحبة مولع
الجور منه إذا استمر طبيعة * والعدل منه إذا استقام تطبع
هذي عقوبة زلة سلفت بها * من أكل طعمته التي لاتشبع

قد كنت أمنع رسخ نفسي قلبها * واليوم أوجب أنه لا يمتنع
لم لا ، وقد أصبحت (وسط) محلة * فيها السحائب بالرغائب تهمع
دار يدر الرزق من أخلافها * وكم دعا داع بها من يوضع
وكأن مجلسها البهي بصدرها * ملك بأعلى دسته متربع
وكأن مجمر عنبر بفنائها * بذكي ما قد ضاع منه يسطع
وكأنها المتوكلية بهجة * وعلي بن الجهم فيها يبرع(1)
في جحر ضب خافض بجواره * من كان قبل له العوامل ترفع

❁

يا نفثة المصدور كم لك قبلها * من زفرة بين الجوانح تسفع
فعساك تنقع غلة بك إنها * بجحيم ما أسبلته لا تنقع
لله أنت مذاعة أو دعتها * من كل سر بالضمائر يودع
بدوية في لفظها ونظامها * حضرية فيما به يترجع
لم لا تشفع في الذي أشكو بها * ومثالها في مثله يتشفع
كملت وما افترعت فأي خريدة * لو كان يفرعها هماك أروع
بارت علي ، فأصبحت لحيائها * منسى بضافي مرطها تتلفع

(1) المتوكلية : قصر بناه الخليفة العباسي المتوكل على الله ، وعلي بن الجهم شاعر خراساني قتل بالشام سنة 429 وكان مختصاً بالخليفة المذكور

أبيات متفرقة لابن خميس

من رفع الحجب المستورة :

وما اشراب رشاد فى ندى هوى * إلا جئت حضماء النى للركب

من رحلة ابن عمار

أحييت رمة ميت مرمرس * ورددت جدة عمره الملبوس
أسحبته فضل الثناء فجر فى * خيلاء ذكرك فضل كل لبوس

من نفح الطيب : (من قصيدة طويلة فى مدح القائد ابن كماشة) :

العشي تعيى والنوابغ * عن شكر أنعمك السوابغ
ورسائغ ابن كماشة * مع كل بازغة وبازغ
تأتى بما تهوى النفا * نغ من شهيات اللغالغ
ماذاق طعم بلاغة * من ليس للوحشي ما ضغ

ومنه أيضا (كتبه على فم قدح من الشمع أهداه لابن الحكيم)

وما كنت إلا زهرة فى حديقة * تبسم عنى ضاحكات الكمائم
تنقلت من طور لطور فها أنا * أقبل أفواه الملوك الاعاظم

ومنه أيضاً : (كتبه على ظهر الفقيرية لابن سبعين)

الفقر عندي لفظ دق معناه * من رامه من ذوى الغايات عماه
كم من غبي بعيد عن تصوره * أراد فهم معماه فعماه

فهرس

تقديم 3
المغرب فى القرن السابع 8
تلمسان 14
ابن خميس : حياته 16
اسمه ونسبه 16
ولادته 17
أسرته ونشأته 17
فى ديوان الانشاء 22
مع الرحالة العبدرى 32
فى سبتة 24
فى غرناطة مع الوزير ابن الحكيم 33
فى مالقة والمرية 35
تلاميذه وأصحابه 36
مقتله 38
ابن خميس : شخصيته وأدبه 43
شعر ابن خميس 45
كتابة ابن خميس 50
شيخ الجماعة 51
علمه واطلاعه 52
شيء من أحواله 53
الدر النفيس 56
شكر ورجاء 56
وبعد 57
مصادر البحث 59
المنتخب النفيس 61
حنين إلى تلمسان 62
نصيحة مشفق 68

بابن الحكيم أمنت صرف ردى	72	دمية من مرمر	110
اخترت قرب جواره	78	بما أورثني جمير والسكاسك	112
يطير فؤادي	85	من عاذري	114
وبابن رشيد تعوذت	89	عجباً لها	117
معاهد أنس عطلت	96	لم أرد إلا سراباً	135
لكل شيء موعد	107	لله ايام بها قضيتها	137
مدامة حيدر	109	فهرس	143

يطلب الكتاب

من مؤلفه ، صندوق البريد رقم 69 بتلمسان ومن

مطبعة ابن خلدون — الشارع الوطني — بتلمسان

وثمنه مئة فرنك

ابن خميس ،ابو عبد الله محمد بن عمر
المنتخب النفيس من شعر ابى عبد الله
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01034541

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

General Library

892.71
I1345mA